BOBST LIBRARY
3 1142 01727 3478

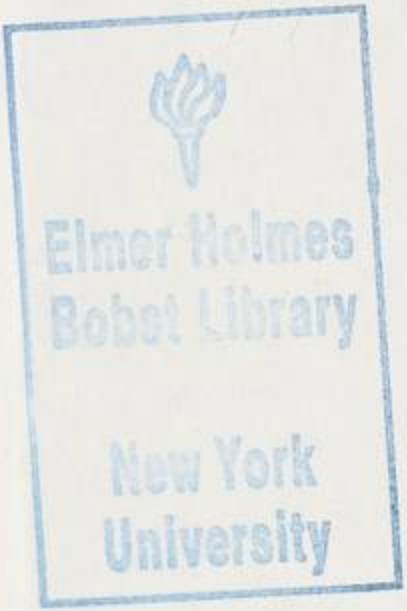

Hāshimī Nizhād, ʿAbd al-Karīm
||

/Shubuhāt wa-ḥulūl/

شُبهات وحلول

الشهيد

عبد الكريم هاشمي نژاد

BP
170
.H37
1982
c.1

NYU BOOST-PRESERVATION
L-2643 JUL 2004

تاليف: الشهيد عبدالكريم هاشمي نژاد
ترجمة: هاشم محمد
طبع منه: ١٠٠٠٠ نسخة
مطبعة: فجر اسلام.
الناشر: منظمة الاعلام الاسلامي
التاريخ: ١٩٨٢/٧/١٥ م
٢٣ رمضان /١٤٠٢ ه
محل الطبع: طهران

الثورة الاسلامية : عقبات و انتصار

01727478

۱۳۶۰
سازمان تبلیغات اسلامی

الفهرست

مقدمة الناشر	٣
مقدمة المترجم	٥
امكان طول عمر الانسان	١١
تلاؤم العقاب والعصيان	٢٥
تعدد الزوجات	٣١
خشية الله	٣٢
حول فرضية دارون	٣٤
حول المتعة	٥١
في التربية	٥٦
حول تطبيق القوانين الاسلامية	٥٧
زوجات النبي	٦٣
حول سن الزواج	٧٢
الحرية العقائدية والحروب الاسلامية	٧٤
الكعبة .	٨٠
قراءة كتب الضلال	٨٤
ولدالزنا	٨٥
حول ناقصي الخلقة	٩٠
الانبياء والشرق	٩٤

مقدمة الناشر:

يسر منظمة الاعلام الاسلامي— قسم العلاقات الدولية— ان تقدم هذا الكتاب القيّم، للقراء الاعزة.انه كتاب يطرح بعض الشبهات فى العقيدة والنظام ثم يعطي الجواب الصائب عليها بكل سهولة ودقة.

و مؤلف الكتاب هو احد العلماء الشهداء الذين قدمتهم الثورة الاسلامية فى سبيل تحقيق الانتصار الاسلامي على قوىٰ البغي والضلال، واقامة حكم الله فى الارض.

فلنعش مع هذا الكتاب الجيد وهذا الكاتب الشهيد.

منظمة الاعلام الاسلامي

قسم العلاقات الدولية

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل سنوات عديده، في مشهد المدينه المقدسه في ايران، كان مركز الدراسات الاسلاميه يعالج مشاكل الشباب، ويجيب على الاسئلة والشبهات في مختلف المسائل الاسلاميه، وكان يشرف على هذا المركز، مجموعه من العلماء والمفكرين، ولعل ابرزهم السيد الشهيد هاشمي نژاد وكان لهذا المركز دور كبير في نشر الثقافة الاسلاميه، والتصدي للانحراف، ونتيجه لنشاطاته، عاد الكثير من المنحرفين، والشباب منهم بالخصوص، الى اسلامهم، الذي افتقدوه بفعل التيارات المنحرفه، والشبهات التي يبذرها اعداء الاسلام بين المسلمين، كما اسلم على يده الكثير من غير المسلمين.

وربما تخطر بعض هذه الشبهات والاسئلة، عند بعض القراء العرب، لذلك رأينا من الجدير ترجمة بعض هذه الاجوبة، على امل ان يوفقنا الله لترجمة الاجوبة الاخرى منها.

وقد طبع هذا الكتاب لاول مرة قبل مايقارب سبعة عشرة سنة، بعدة اجزاء، واعيد طبعه بعد ذلك مرات عديدة.

وهذا القسم من الكتاب يشتمل على الاجوبة التي اجاب بها الشهيد هاشمى نژاد، ومن هنا رأينا من الجدير القاء الضوء على حياة هذا الكاتب الكبير، الذي ربما يجهله بعض القراء.

الكاتب الاسلامي الكبير الشهيد السيد عبدالكريم هاشمي نژاد، المفكر الذي افزع بلسانه، وقلمه، العملاء والمنحرفين، والخطيب الكبير الذي كان يرتعد الخونة والمنافقون، واعداء الاسلام، من خطابه الهادر، الذي كان يبعث اليقظة والثورة في النفوس المؤمنة، و ينصب كالحمم المحرقة على النفوس الحاقدة والمنحرفة، الخطيب المصقع، الذي كان يسحر الجماهير و يشدها، باسلوبه المثير.

وتشهد الاجتماعات الحاشدة التي كانت تنعقد في زمان الشاه العميل لخطاباته، ولاحاديثه الملتهبة..

لقد نذر هذا المفكر الاسلامي حياته، وكل مايملكه، من اجل الجهاد في سبيل الله، وفي مكافحة الطواغيت والعملاء والمنحرفين، ولاقى نتيجة ذلك الكثير من المتاعب والتحديات فقد دخل السجون مرات عديده، وتعرض للتعذيب فيها، ولاقى التبعيد والتشريد وغيرها من المتاعب.

و بعد انتصار الثورة الاسلامية، و بعد ان فقدت امريكا وغيرها من القوى الاستعمارية والعميلة مطامعها الشيطانية، واخذت الشعوب المسلمة، بل كل الشعوب المضطهده، تتحرك بفعل الزلزال الثوري الاسلامي الذي انبثق من ايران، واخذ الاستعمار يزيد من حملاته ضد الجمهورية الاسلامية الفتية، وهو يحلم باسقاطها، ولكن خاب ظنه، فان ارادة الجماهير المؤمنة التي تأهبت للتضحية بكل شئ، من اجل الاحتفاظ بهذه النعمة الالهية، التي ورثتها من كل جهود المصلحين والشهداء، والثوار، عبر التاريخ الطويل، ان هذا الشعب المسلم يقف سداً منيعا، تتحطم عنده كل الحملات المسعورة، التي يشنها الاستعمار وعملاؤه.

وهكذا... اندفع الشهيد هاشمي نژاد، ليخوض ميدان الجهاد، مرة اخرى، ولم يأخذ راحته، بعد المتاعب المريرة المضنية، التي تعرض لها في عهد الطاغوت، بل قدم كل شئ، من اجل الدفاع عن الجمهورية الاسلامية الفتية

فاشترك في البداية، في مجلس الخبراء، وكان عضواً فعالاً فيه، واخذ يخطب في الجماهير، هنا، وهناك، في مختلف المناسبات، وفي شتى الاجتماعات التي تنعقد في المدن والقرى، لتوعية الجماهير وتثقيفها بمبادئ الثورة، و بالاخطار التي تحدق بها، وقد رأى بانه مسئول عن تثقيف الجماهير، بما يملكه من المؤهلات الملائمة لهذا المجال، لذلك لم يتسلم بعض المناصب التي عرضت عليه، واكتفى بالتوعية الجماهيرية— التي تعتمد عليها الثورة الاسلامية— و بالخصوص في محافظة خراسان، حيث كان له تأثيره الكبير في هذه المحافظة، و بالخصوص شؤنها الثقافية.

واحس الاستعمار، بخطورة هذا المكافح الصامد، فوقف له بالمرصاد، وتشبث بمختلف المحاولات لاسكاته، ولكن باءت كلها بالفشل، فهو يمضي في طريقه الجهادي بكل صمود واصرار، حتى تمكن، في محاولته الجبانة، من اغتيال هذا الفكر الملتزم، وهذا الصمود الواعي، واللسان المثير.

ان المنافقين الخونة، قد فزعوا— بعد ان باءت كل اساليبهم بالفشل تجاه ارادة الجماهير المؤمنة الواعية— الى هذه الطريقة الجبانة، طريقة الاغتيال، ووضع المتفجرات في الاماكن الآمنة، وقتل الابرياء والمؤمنين والمجاهدين، من ابناء هذا الشعب الصامد، وقد تخيلوا، انهم بهذه العمليات الجبانة، التي يقومون بها بامر من اسيادهم المستعمرين، يتمكنون من تصفية كل المعارضين لهم، و بذلك، يفتحون الطريق، للاستعمار، ليعود مرة اخرى، الى ايران، ولكن من هم المعارضون لهم انهم اغلبية الشعب الايراني المسلم، وليست مجموعة قليلة، قد تسلمت الحكم، معادية لارادة الشعب وطموحاته، كما في الكثير من دول العالم، فلن يستطيع اعداء الثورة الاسلامية ان يصلوا الى اهدافهم الجهنمية، الاعلى جثث هذا الشعب المؤمن الصامد كله.

ان هذه المحاولات الجبانة، تزيد الجماهير صموداً واصراراً، والتفافاً حول ثورتها المقدسة، وقيادة الامام الخميني العظيم، ان كل قطرة دم تسفح،

ستخلق ثواراً ومؤمنين مكافحين، وسوف تسقط بهذه المحاولات الجبانة، اقنعة اعداء الثورة، الواحده تلو الاخرىٰ، حتىٰ تتكشف للعالم كله، الوجوه البشعة لاعداء الثوره الاسلامية في ايران.

اجل لم يمت المطهري، وهاشمي نژاد، وبهشتي، ورجائي، وباهنر، وكل شهداء الثورة الاسلامية، وسوف تمضي مسيرة الثورة الاسلامية، وتشق طريقها لكل الشعوب المسلمة، والمضطهدة، لتثوربوجه حكوماتها المستبدة الجائرة. وتكون ايران هي المنبع لكل التيارات الثائرة، ويكون الشهداء هم الذين يمدون الشعوب الناهضه، باليقظه الثورية، وروح التضحية والفداء.

يقول الشهيد هاشمي نژاد، في حديث له، بعد استشهادرجائي، وباهنر (انا لااهاب الموت، بل انني اعد نفسي للشهادة. وستكون شهادتي ثورة تزيد المسلمين صموداً، سالكاً ذات الطريق الذي سلكه الدكتور بهشتي، والاخ رجائي والدكتور باهنر، والذي يستقبله كل المسلمين الحقيقيين بفرح غامر).

وقد تحقق لهذا الكاتب الاسلامي الكبير الامل المقدس الذي كان يحلم به، وسيبقىٰ حيا، بافكاره، وبشهادته (ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون).

وللشهيد هاشمي نژاد، مؤلفات عديدة باللغه الفارسية، في مختلف المسائل الاسلامية، وقد طبع اكثرها عدة مرات، لما تمتازبها من الفكر العميق، والدراسة العصرية للقضايا الاسلامية، والاسلوب المؤثر، ونذكرهنا بعض هذه المؤلفات:

١ــ شبهات وحلول، وهو هذا الكتاب، وقد طبع قبل (١٧) عاماً، عدةطبعات.

٢ــ مسائل عصرية.

٣ــ الدرس الذي علمه الامام الحسين (ع) للانسانية.

٤— حوار بين الدكتور والشيخ، وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات، تجاوزت العشر، وقد استخدم المؤلف فيه الاسلوب القصصي.

٥— دراسات حول اصول الدين، وهو عدة اجزاء.

٦— القرآن والكتب السماوية الاخرىٰ.

٧— غروب الشمس في الاندلس.

وله مؤلفات، ومحاضرات، ومقالات، اخرىٰ، ونأمل ان تترجم الى اللغة العربية، ليطلع القراء على هذه الكتب، الحافلة بالبحوث والدراسات الاسلاميه المثمرة.

المترجم

سؤال:

هل يمكن الاعتراف علمياً بما يعتقده الشيعة من بقاء انسان مئات السنين، وهل يمكن تقبل ذلك وفق الموازين والمقاييس العلمية؟

الجواب:

قبل التعرض لمعالجة هذه المشكلة، يلزمنا ان نقول:

بان هناك قاعدة عامة يجب الالتزام بها، وهي انه لوثبت (امكان) المسألة العقائدية عقليا وعلميا فان ذلك يكفي للاعتقاد بها، فما اذا اقترنت بدليل قطعي يثبت (وقوعها) كما لو اقترنت باخبار صادق امين.

اذا تضح ذلك ، نقول، بان هناك عدة سبل تؤدي الى اثبات (الامكان) في هذه المسألة اي امكان طول عمر الحجة(ع):

لاجل معرفة الفرق بين المحال، وغيرالطبيعي، يلزمنا ان نعرف ان الاعمال والامور على ثلاثة اقسام:

١— الامور التي يستحيل تحققها، امثال اجتماع النور والظلام في مكان واحد، وزمان واحد، وهذه الامور تعد من المحالات.

٢— الامور التي ليست (ممكنة) فحسب، بل انها يمكن تحققها وفق مجموعة من الاصول والاساليب العادية المتعارفة لذلك تسمى بـ (الامور الطبيعية) او (الاعمال العادية) واكثر حوادث الكون من هذا القسم.

٣—الامورالتي هي وان كانت ممكنة الوقوع الا انها غير عاديه وغير طبيعيه. فهي خارقة للعادة الطبيعية، لا انها مستحيلة، مثل شفاء المريض

بالتوسل لله تعالى، ودون استعمال الدواء، اوسقوط انسان من شاهق دون ان يحدث فيه اي كسر ونحوه، فقد نقلت بعض الصحف ان صبيا، سقط من الطبقة السادسة لاحدى العمارات، في المانيا الشرقية، ابان مشاهدته لتساقط الثلج، وبعد ان سقط من مكان يبلغ ارتفاعه ثمانية عشر متراً عن الارض، نهض باكيا، واندفع الى امه، ولم يحدث فيه اي اذى، سوى اختلال طفيف في كبده.

والدكتور الكسيس كارل، الحائز على جائزة نوبل، يتحدث في احد كتبه، عن الامور الخارقة للطبيعة، والاعمال غير الطبيعية كالمعجزات، فيقول (لقد تجمعت لدينا الكثير من المشاهدات حول كيفية المعجزة، والعلاجات غير الطبيعية، ولدينا اليوم معلومات كافية حول التأثير المباشر السريع للدعاء في شفاء الامراض المختلفة، امثال سل العظام، والجروح العميقة، والسرطان، وغيرها، والطريقة التي يتم بها شفاء مختلف الافراد متحدة تقريبا عندالجميع، والاغلب ان يشعر المريض بالم شديد، وبعد ذلك يقترب من الشفاء التام، فبعد عدة ثوان، اوعدة دقائق، اوعدة ساعات على الاكثر، تلتئم الجروح، وتختفي اعراض المرض، وتنفتح شهية المريض.

ويستطرد الدكتور كارل فيقول في نفس الكتاب (لقد ثبت علمياً تحقق هذه العلاجات، فان للدعاء احيانا تأثيرات مدهشة، فهناك مرضى كانوا مصابين بامراض مختلفة، قد شفوا تقريباً، من اشد الامراض خطورة بواسطة الدعاء).

وبعد وضوح هذه الفكرة، يمكن لنا القول بان بقاء الانسان الف سنة اواكثر من هذا القسم، اي انه غير محال، اذ لايوجد اي دليل علمي اوعقلي على استحالة بقاء الانسان الف سنه اواكثر، وكل مايمكن ان يقال، هو ان هذا البقاء غير عادي وغير طبيعي، ولكن وجود الامور غير الطبيعية، وغير العادية، ليس بمستنكر.

نظرية عامل العمر وتقويته: لو القينا نظرة على اختلاف الاعمار، لرأينابان هناك من ينتهي عمره في العشرين، ومن ينتهي عمره في الثلاثين، وهكذا، حتى التسعين، ونستنتج من ذلك كله، انه يمكن تمديد العمر، وذلك بتقوية العامل الذي يؤدي الى طول الحياة، في نوع البشر، مهما فرضناه، سواء قلنا بان هذا العامل هو ارادة الله، او القوة والاستعداد البدني، اوتأثير المحيط، او الالتزام بالقواعد العامه للصحة والوقاية، وغيرها من العوامل، فان هذا العامل الموجود في الشاب، موجود بنفسه في الكهل اوالشيخ، اذن فمن المسلم به امكان تقوية العامل الذي يتوقف عليه عمر الانسان، الى سن الثمانين او المائة، ولكن هل يمكن تقوية هذا العامل، الى اضعاف هذا المقدار بما يتجاوز المئات ام لا؟

وجوابنا عليه، انه لاريب في ذلك ، فبعد ان اثبتنا امكان تقوية العامل، الى تسعة اضعاف، وبعد عدم ثبوت الدليل العلمي على استحالة تقويته، الى هذه المرحلة، لابـد من الاعتراف والاقرار بامكان ذلك ، ومثال ذلك ، السرعة فان سرعة الطائرة في بداية اختراعها، كانت ضئيلة، ولكن باكتشاف عامل السرعة، وتقويته، بلغت السرعة الى (١١) كم في الثانية، وعليه، فيصح لنا ان نتساءل: هل يمكن ان تبلغ سرعة الطائرة لسرعة الضوء ام لا؟ ولكن انشتاين اثبت انه لو بلغت سرعة المادة لسرعة الضوء، فانها ستتحول الى طاقة، لذلك لايمكن ان تبلغ سرعة الطائرة لسرعة الضوء، ولكن يمكن ان تكون سرعتها اقل من سرعة الضوء، مهما كانت درجتها.

اذن فمع الاعتراف بهذا المثال العلمي، وبالحقائق الآنفة الذكر، يتضح لنا امكان دوام العمر مئات السنين بلا ريب.

٣ــ قام العلماء باجراء التجارب العديدة على بعض الحيوانات وثبت امكان بقائها لمدة طويلة، يفوق عمرها الطبيعي بكثير، ومن الواضح ان هذا الدليل اكثرا قناعاً ودلالة على المسألة، فان الادله السابقة كانت فرضية، بينما

هذا الدليل يدور حول مرحلة الفعلية، والادلة السابقة غاية ماتثبته هوالامكان، بينما هذا الدليل قد جسد هذا الامكان خارجا، واثبت الوقوع والتحقق، ولابأس قبل استعراض التجارب ان نذكر بعض اراء العلماء حول مسألة طول العمر.

يقول الدكتور هنري اسميس استاذ جامعة كولومبيا، حول مسألة طول العمر: ان تحديد العمر وحصره، مشابه للجدار الصوتي، فكما ان العلم قد تمكن من نسف هذا الجدار واختراقه، فسيتمكن العلم كذلك من تحطيم جدار العمر(١).

و يقول هنري الجس (لابد من ايصال حدالموت في الأعمار المتوسطة، الى نسبة الموت في الاطفال الذين لم يبلغوا العاشرة، واذا تحقق ذلك امكن للانسان القادم ان يعيش ثما نمائة سنة)(٢).

و يقول الدكتور جيلورد هاوزر الامر يكي (تمكن علم الطب بمعونة علم التغذية ان يقتحم الحدود المعينة للعمر، فاننا بخلاف اجدادنا، يمكن ان نحلم بان نعيش مدة اكثر طولاً من المدة التي عاشها اجدادنا)

و يقول ايضا (ان لعلم الطب فصلاً خاصاً في التغذية، يتمكن الانسان بالاستعانة به ان يصل الى الشباب وطول العمر).

و يقول الدكتور وايزمن (ليس هناك حدود معينه لاعمار الموجودات).

و يقول البروفسور بشتس: (ان الانسان يمكنه الوصول الى الحياة الطويلة، وطرد الشيب سنين عنه، وذلك بالاستفادة من المواهب الطبيعية، والقدرة على التمدن الكامنة فيه).

و يقول الدكتور باك نجاد (ان الحيوانات تتفاوت في العمر فيما بينها،

---

(١)– صحيفة اطلاعات الايرانية، العدد ٨٠٥ ١١ سنه ١٣٤٤ شمسية.

(٢)– جواز سفر لحياة جديدة، باللغة الفارسية، ص ١٤.

فقد عثر على بعض الاسماك في المحيط الاطلسي يقدر عمرها بثلاث ملايين سنه، وهناك بعض الحيات التي قدر عمرها بالاف السنين، ولكن هناك بعض الحشرات التي لاتذوق طعم الحياة الا في لحظات).

والان نعود الى استعراض التجارب العلمية في هذا المجال: ففي مجلة الهلال كتب مقال بعنوان (الانسان سيعيش قريبا الوفاً من السنين) يقول فيها (الدكتور جورج كليبز من اساتذة جامعة هال بالمانيا، ومن اغرب ما آتاه انه اخذ نوعاً من النبات العفن يسمى (سابرو لينا مسكتا) وهو ينمو على جثث الذئاب المائية، ولايعيش اكثر من الاسبوعين ثم عالجه حتى عاش ست سنوات، وهذا العمل من الغرابة بمكان فهو بمثابة اطالة حياة الانسان الى عشرة الاف وتسع مائة وعشرين سنة)(١).

وذكر في مجلة المقتطف (ان العلماء الموثوق بهم يقولون ان كل الانسجة من جسم الحيوان تقبل البقاء الى مالانهاية له، وانه في الامكان ان يبقى حياً الوفاً من السنين اذالم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته، وقولهم هذا ليس مجرد ظن، بل هو نتيجة علمية مؤيدة بلامتحان)(١).

والمجلة المذكورة ذكرت تجربة اجراها الكسيس كارل على قلب دجاجة حيث وضعه في محيط مشبع بالمواد الغذائية، وبذلك بقي هذا القلب سليما لمدة طويلة، واستنتج من ذلك :

١— ان الاجزاء الاصلية للبدن تقبل البقاء لووصل لها الغذاء الكافي.

٢— انها تستمر في نموها وتكاملها بالاضافة لبقائها.

٣— لا تأثير لمرور الزمان ابداً.

٤— ان رشدها ونموها له علاقة وثيقة بالغذاء الذي يصل اليها.

---

(١)— مجلة الهلال المصرية، العدد ٩ ص ٧١٨، السنة ٢٣ سنة ١٣٣٣.

(١)— مجلة المقتطف، ص ٣، سنه ٥٩، ص ١٣٩.

وذكر هنري اسميس ان الدكتور الكسيس كارل قد وفق لابقاء دجاجة لمدة ثلاثين سنة، مع ان عمر الدجاجة لايتجاوز عشر سنوات.

بل يمكن القول بان البقاء لمدة طويلة هوالقاعدة بينما الموت هوالاستثناء وهوالذي يصرم العمر، وهذه من النتائج التي تفيدها التجارب العلمية التي اجراها الكسيس كارل، فتذكر المقتطف في هذا المجال (بالامكان ان يبقى الانسان حيا الوفاً من السنين اذالم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته).

اذن فلاغرابة في بقاء الانسان سنين متمادية، بل لابد من البحث حول سرالموت، وحل لغز العمر، وهذه هي المشكلة التي بحثها الكثير من الشعوب والحضارات عبر التاريخ، انه السؤال الدائم، لماذا نموت؟.

القرآن الكريم ونظرية طول العمر:

امكننا حتى الان، ان نثبت امكان طول العمر عقليا وعلميا وتجريبيا، وحان الوقت للتعرف على رأي القرآن الكريم المعجزة الخالدة، في طول العمر، فان للقرآن الكريم حلوله المقنعة للكثير من المسائل المشكلة.

فيتعرض لقصة نوح، و يصرح بان طول عمره كان بمشيئة الله، (ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم الف سنة الاخمسين عاماً فاخذهم الطوفان وهم ظالمون)، و يقول حول يونس (فلو لا ان كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون)، و يبدو من الآيات حول عيسى (ع) انه حي يرزق ولم يمت (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك مالهم به من علم الا اتباع الظن وماقتلوه يقيناً، بل رفعه الله اليه، وكان الله عزيزاً حكيما، وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته، و يوم القيامة يكون عليهم شهيدا).

والى غير ذلك من الشواهد العديدة المذكورة في القرآن الكريم والتي صرح فيها بان طول العمر، كان بمشيئة الله، فلوشاء، لوهب العمر المديد لفردما، بما يخرق به العادة المتعارفة في عمر البشر.

وبعد كل هذه الاراء والحقائق، فمن السخف المناقشة في مسألة الامام المهدي (ع)، وبانه كيف يمكن لانسان ان يبقى هذه المدة الطويلة، فان هذه المسأله قد ثبت صحتها بالتجربة، فضلاً عن امكانها العقلي والعلمي، فقد اثبتنا عدم استبعادها بنظر العلم والتجارب الطبية.

فما تقدم يثبت لنا بان هذه العقيدة التي يؤمن بها الشيعة موافقة للاصول العلمية.

بقي شئ: الدراسة الانفة الذكر، كانت تدور حول (امكان) البقاء لافعليته، وتحققه الخارجي، وقد اثبتنا الامكان بمختلف الادلة والبراهين، و يلزم علينا الان ان نقول، بان القوى الفكرية، والقدرات الموهوبة من الله تعالى محدودة، ولكن الانسان رغم محدوديته هذه، قد اخذ يفكر، و يبحث، ويجوب مختلف المجالات ليعثر على عين الحياة، وليكتشف سر الحياة، ليتمكن بعد توصله لحل لغز العمر، ان يعيش الوف السنين، فلو كان المخلوق كذلك، فهل يعسر على خالق البشر ان يطيل حياة فرد، الوف السنين، وفقا للمصالح التكوينية التي يقتضيها نظام العالم والخليقة، وقد ثبت وقوع هذه الحقيقة فعلاً، بادلة قطعيه من الصادق الامين، واشار اليها القرآن الكريم في الكثير من آياته الشريفة.

سؤال:

اتضح من البحوث السابقة، امكان بقاء الامام هذه المدة الطويلة، ولكن هذه النتيجة، سوف تصطدم بمشكلة اخرى، وهي مسألة (الشيخوخة)، فالذي يعمر هذه المدة الطويلة، لابد ان تنهار منه القوى، والاعصاب والاجهزة، ولايمكنه ان يتحمل المسؤليات الخطيرة، وقد ثبت ان الامام الغائب(ع) يظهر بصورة انسان كامل، في قواه البدنيه، كرجل في الاربعين، فهل يتلاءم هذا الاعتقاد مع الاصول العلمية؟

الجواب:

اجل، لايؤثر مرور الزمان، وطول عمر الامام(ع) على قواه البدنية، بل سيظهر الامام(ع) كرجل في الاربعين، وقد دلت عليه الكثير من الادلة والنصوص نذكر نصين منها:

١— عن ابي الصلت الهروي عن الامام الرضا(ع) (قال علامته ان يكون شيخ السن، شاب المنظر حتى ان الناظر ليحسبه ابن اربعين سنة، اودونها، وان من علاماته ان لايهرم بمرور الايام والليالي حتى يأتيه اجله)(١).

٢— عن الحسين بن علي (ع) (انه قال: ليطيل الله عمره اثناء غيبته، ثم يظهره بقدرته، بصورة شاب ابن دون اربعين سنة)(١).

والان، وبعد ان ذكرنا ذلك ، نقول: بان مشكلة الشيخوخة، كمشكلة طول العمر، قد وضعت تحت التجربة، و يأمل العلماء ان يعالجوها في القريب العاجل، فقد قام الكسيس كارل باجراء تجربة على قلب دجاجة بعد ان وضعه في محيط مشبع بالمواد الغذائية الملائمة، فبقي سليماً، لم يؤثر فيه

---

(١)— منتخب الاثر، ص ١٨٥.

(١)— البحار، ص ١٣، ص ١٢.

مرور الزمن، وقد استنتج العلماء من ذلك ان توفير الغذاء المناسب، وسائر الاحتياجات، يستوجب ان يبقى الموجود على حيويته، دون ضعف، وعناء، ولايؤثر فيه مرور الزمن وطوله.

وقد ذكر في مجلة المقتطف، العدد الثالث، حول التجربة التي ذكرناها آنفاً(ورابعاً:ان لاتأثير للزمن فيها اي انها لاتشيخ، ولاتضعف بمرور الزمان بل لايبدو عليها اقل اثر للشيخوخه).

وقد علق الدكتورهاوزرالامريكي على هذه التجربة التي اجراها الكسيس كارل، بقوله (ان هذه التجربة تدلنا على امكان الاحتفاظ بالشباب مهما طال العمر، فان قطعة من قلب الدجاجة لو فصلت عنها، ووقعت في المواد الغذائية اللازمة، تبقى سليمة، من اي خلل).

وذكر عالم روسي اسمه الكساند مولتز (بامكاننا معالجة الشيخوخة كاي داء آخر ولكننا اعتدنا على الاستسلام لها، واعتبارها امراً طبيعيا لامفر منه). وقد كتب الدكتور هاوزر مقالاً حول الشيخوخة ذكر فيه النظريات والاراء التي عالج بها العلماء مشكلة الشيخوخة، فقد نقل عن الدكتور شال ادوارد براون، والدكتور اشبيناخ، والدكتور ورونوف، والبروفسور ويليام اوسلر وغيره، مباحث ودراسات كثيرة حول مرض الشيخوخة، ووسائل علاجها، وعلق على ذلك كله:

(والذي اعتقده ان الشيخوخة ناتجة من سوء التغذية، وقد اثبت العلماء المتخصصون ذلك، بادلة مقنعة، وعديدة. واستنتجوا ان سرالشباب يكمن في الغذاء السليم، كما ذكر ذلك الدكتور هنري شرمان، في محاظرته، بان بعض الاغذية يمكنها ان تكفل سلامة الانسان خلال عمره الطويل).

وقد اعلنت بعض الصحف عن اكتشاف سائل، ضد الشيخوخة فذكرت بان الدكتور بنها نس قد اكتشف دواء ضد الشيخوخة، وقد جرب هذا السائل، عشرين الف مرة، فلم يواجه بالخيبة، وقد اكتشف الدكتور اصلان،

مادة جديدة، لمكافحة الشيخوخة.

والخلاصه ان الصحف، تنقل لنا يوميا، الكثير من الانباء العلمية، والكشوفات في مجال مكافحة الشيخوخة.

و يتضح من ذلك كله، ان مشكلة الشيخوخة كمشكلة طول العمر، بمقدور الانسان ان يعالجها بواسطة الوسائل التي هيأها الله تعالىٰ للبشر، رغم قواه الفكر ية المحدودة، وهل يصح الاعتراض بعد ذلك كله، على الشيعة، بانه كيف يظهر الامام شابا، وهل يصعب علىٰ الله تعالىٰ، خالق الكون، ان يطيل عمر الامام المهدي (ع)، هذه المدة الطويلة محتفظاً بسلامته وشبابه، طبقا للمصالح الكبيرة التي يقتضيها نظام الخليقة.

سؤال:

نشاهد كثيراً بعض المسلمين يمرون بالمفاسد والمنكرات، الفردية اوالاجتماعية، دون ان يشعروابو ظيفتهم للنهي عنها، مستندين في هذا الموقف السلبي لمسألة انتظار الفرج، وان الاصلاحات لايقوم بها الا المهدي المنتظر، فهل يحق لهم مثل هذا الموقف من المنكرات، وهل هذا هو المعنىٰ الذي يتضمنه انتظار الفرج؟

الجواب:

هناك عدة نصوص شرعية وردت حول مسألة انتظار الفرج، وانتظار تلك الحكومة الالهية العادلة، ونحن نذكرهنا روايتين، وبعد ذلك نحاول البحث حول حقيقة انتظار الفرج وواقعه:

١— قال رسول الله (ص): افضل اعمال امتي انتظار الفرج من الله عزوجل.

٢— قال ابوعبدالله (ع): من مات منكم علىٰ هذا الامر منتظراً له، كان كمن كان في فسطاط القائم.

اذن، فلاريب بان انتظار ظهوره (ع) بنفسه، وتوقع حكومته، من الامور التي يحض الاسلام عليها، و يثاب المسلم المتصف بصفة الانتظار، ولها اثار وفوائد معنوية كثيرة.

ولكن لابد من التعرف علىٰ حقيقة الانتظار وواقعه: فهل يعني الابتعاد والعزلة والسكوت عن المفاسد والمنكرات العامة والخاصة، هل يعني عدم التأهب باي نحو كان، لمواجهة القوىٰ الكافرة، ومخططاتها، مواجهة منطقية سليمة؟ هل التحريض على انتظار الفرج الذي تحفل به النصوص الشرعية يعني

نسخ التعاليم والقواعد الاسلامية كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومقارعة الظلم والجور والكفر بمختلف الاساليب.

لو كان هذا المعنى هوالذي يتضمنه انتظار الفرج، فالحق بجانب اولئك الذين يعتقدون بان فكرة انتظار الفرج تدعو الى البطالة والكسل، وانها فكرة مخدره للافكار، والقوى البشرية الثرة، والخلاصة ان هذه الفكره، بهذا المعنى المخدر، هي الهدف البعيد لاطماع الاستعمار الغاشم.

ولكن الواقع ليس كذلك، فان انتظار الفرج، فكرة اصلاحية وسيعة، فكرة رائدة تنظم القوى البشرية التي وضعت وفق قوانين خاصة لتأخذ بيدالانسان الى احضان الكمال والسعاده للفرد والمجتمع.

ان مثل هذه الفكرة سوف تضرب بيد من حديد، كل القوى الاستعمارية والمنحرفة، وسوف تكون سداً منيعاً يصد احلامهم الشيطانية المتآمرة على البشرية جمعاء.

ولابد من توضيح هذه الفكره اكثر، لنتعرف على واقع انتظار الفرج:

فماذا يستهدف المنتظر من ظهور الحجة (ع) وماذا يتوقع؟ و بالتعرف على طبيعة مايستهدفه و يتوقعه، تتضح لنا حقيقة الفكرة هذه.

ان المنتظر يتوقع بزوغ حكومة عالمية، شعارها الاسمى تطبيق العدالة الاجتماعية في العالم كله، واعادة الانسان الى انسانيته التي نسيها بعد ان غرق في المادة واوحالها واضاليلها، شعارها الاسمى تطبيق القوانين والتعاليم الاسلاميه الخالدة، المستخرجة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، والنصوص الواردة عن الائمه(ع)، انه ينتظر حكومة تقف بجانب المظلوم، وتقارع كل ظالم.

والان، وقد اتضح ما الذي ينتظره المنتظر، فهل يعقل ان يكون هذا المنتظر بنفسه غريقا في اوحال الظلم والذنوب، هل يعقل لمن ينتظر حكومة قوية تقف بوجه الظلم والطغيان، ان يكون ظالماً غاصبا لاموال الناس

وحقوقهم، وهل يعقل لمن ينتظر مثل هذه الحكومة التي تستهدف تحقيق العدالة الاجتماعية وتطبيق التعاليم الاسلامية الخالدة، ومكافحة الذنوب والمعاصي، ان يكون بنفسه، فرداً، غارقاً بالذنوب والآثام،هل ان المرابي، والمتعدي على حقوق الاخرين واعراضهم، ينتظر حكومة عادلة، تحارب الربا بكل قواها وتفرض عقوبات صارمة لمن يتعدىٰ على حقوق الآخرين، ومثاله، مثال الشخص الذي يتظاهر بالشوق الشديد للقاء ضيف عزيز عليه، مع انه لم يعد اي عدة لملاقاته، فان مثل هذا الشخص سيعد من المجانين اوالبلهاء.

و يتضح من ذلك كله، ان انتظار الفرج بنفسه، مدرسة اصلاحية رائدة، توجه المنتظر توجيها سليما، وتربيه تربية ملتزمة، ليقف بوجه امواج الذنوب والانحراف كالسد المنيع، بل انه يحاول، بحسب امكانه، اصلاح الآخرين وارشادهم وتوجيههم، اما بلسانه، او بعمله وحول امثال هؤلاء الافراد يقول الامام الصادق (ع) بانهم لوماتوا كانوا كمن كان في فسطاطه (عجل الله فرجه).

هذا بالاضافة الى ان هذا الانتظار بنفسه، ليوم تسود فيه العدالة الاجتماعية كل انحاء العالم، و يزاح ظلام الياس عن نفوس المصلحين، بل البشر يه كلها— ونظام العدالة هو الهدف الاسمىٰ الذي تطمح اليه آمال البشر كلهم— هذا الامل الذي يخفق في النفوس، هو بنفسه، عامل محفز للحركة، والعمل الاصلاحي، فان اليأس والقنوط عن تحقيق الهدف قد يؤدي بالانسان الى مالا تحمد عقباه.

وقد دعا البعض الى تشكيل منظمات، وهيئات عالميه، لاجل تحقيق السلام العالمي.

ولكن لم تثمر هذه المحاولات سوىٰ الشعارات البراقة الفارغة، بل ان الاحصائيات التي تجرى كل عام، تدل على زيادة حجم الجرائم مع تطور وسائل المعيشة، مما تسبب الاضطرابات والتشنجات العامة والعميقة، والتي

تؤدي الى القلق المدمر للانسان، الى الحد الذي يكاد يعود فيه الانسان يائساً من تحقيق امله المنشود، وهنا يتجلى لنا الاثر الحي لانتظار الفرج، وانتظار ذلك اليوم الذي تدك فيه اسس الظلم والطغيان والاستعباد (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون).

واخيراً نذكر رأيا لعالم كبير، في مجال انتظار اليوم الذي يعيش فيه البشر جميعهم في ظلال قانون واحد، وزعيم واحد، وتعيش تحت افيائه البشرية بهدوء وسلام.

يقول جورج ساتون (ان العلم في عصرنا الحديث اثبت تفوقه في المجال العسكري، والصناعي، وسيأتي اليوم الذي يكون فيه هذا التفوق الاجتماعي عاملاً محفزاً لتطبيق العدالة الاجتماعية الملائمة لطبيعة المجتمع وجوهره).

سؤال:

كيف يتلائم قانون الجزاء الصارم المؤبد الذي يتعرض له العصاة في الآخره، والعصيان الذي لم يستمر الامدة محدودة؟

الجواب:

قبل ان نتعرض لمناقشة هذا الاعتراض، يلزم علينا ان نقول: بان المخلدين في النارهم المعاندون عن دين الحق فحسب، مع ثبوت صحته لهم، أو امكان ثبوتها بالرجوع الى المصادر، والمنابع التي تدل على ان الدين على حق:

(والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النارهم فيها خالدون) (وان تخلد فيها المعاندين).

فمثلهم مثل المدمن علىٰ شئ، فانه يكون عازماً علىٰ العمل به، وممارسته، مادام حياً، فلايشمل هذا القانون العاصين بلاعناد و بلا لجاجة، مع التزامهم بالاصول، فانهم، وان دفعوا بانفسهم، بمعصيتهم هذه، الى الجحيم والعذاب، ولكنهم سيرون العذاب لمدة محدودة، لا لحد التأبيد والخلود، وكذلك الفئة التي كان عدم اعتناقها، ليس للعناد بل لعدم الطريق الذي يوصلها للدين، اوانها لايمكن لها البحث والتحقيق حول الدين.

و بعد ذلك، نقول بان لهذا الاعتراض جوابين:

١— الجواب الاول: لم يثبت ضرورة تساوي مدة الاجرام مع مدة الجزاء، فانه قد تصدر المحكمة الحكم بالسجن المؤبد لجريمة لم تستغرق سوىٰ لحظات، كما هوالامر في القاتل بالرصاص، و بدراسة القوانين الجزائية، يتضح لنا، انه كثيراً ماتكون المدة المقررة للجزاء اضعاف الجريمة الاف المرات، ومن ذلك نعرف انه لامجال للاعتراض على التخليد في النار بالنسبه للمعاندين، والاقامة مدة طويلة فيها بالنسبة لغير المعاندين، وان هذا الجزاء ظلم ومخالف

للعدل والانصاف، فان تطابق الزمانين لم يثبت الالتزام به.

٢ــ الجواب الثاني: من يلاحظ القوانين الجزائية الحديثة يشاهد بان هناك مجموعة من العقوبات الصارمة التي تفرض على ذلك الفرد الذي يرغب، و يقدم على ارتكاب الجريمة، ولكن منعته موانع وطوارئ خارجية، ومثل هذه القوانين، وان طبقت في غير موضعها كثيراً، مما ادى الى تزايد الظلم والاستبداد، ولكن ذلك لايخرج القانون عن كونه قانوناً صحيحاً ومعقولاً.

ومن ذلك كله نعرف، بان تخليد المعاند الذي لم يستغرق عصيانه الامدة قصيره كان بسبب ارادته الجازمة، على العصيان الى الابد في هذه الدنيا، فان عقوبته تكون مطابقة لجريمته.

و يتضح من ذلك ايضاً، السبب في حصر التخليد بالمعاندين، دون العاصين بلاعناد، فان تخليدهم مشكوك فيه، ودليلنا على هذا الرأي، الرواية عن الامام الصادق(ع) (عن ابي هاشم قال: سألت ابا عبدالله(ع) عن الخلود في الجنه والنار، قال: انما خلد اهل النار في النار لان نياتهم كانت في الدنيا لوخلدوا فيها ان يعصوا الله ابداً، وانما خلد اهل الجنة في الجنة لان نياتهم كانت في الدنيا لو بقوا ان يطيعوا الله ابداً مابقوا فالنيات تخلد هؤلاء وهؤلاء).

الامام وحوادث المستقبل:

سؤال:

هل كان الامام (ع) عالماً بحوادث المستقبل، والحقائق الكونية التي كانت خفية آنذاك ؟

الجواب:

هناك ادلة وشواهد تدل على ان الامام (ع) كان عالماً باسرار الكون وحقائقه، و يستفاد ذلك من احاديث متعددة، بالاضافة الى بعض الوقائع التاريخية التي دلت على علم الامام(ع) بتلك الحقائق، والائمة(ع) باعتراف

مؤرخي الاسلام جميعهم، لم يدرسوا في مدرسة علمية، ولدىٰ اساتذة، ومع ذلك كانت لهم معرفة تامة بمختلف القضايا والمسائل في شتىٰ المجالات الفقهية، والاصولية، والكلامية، والطبية، والاقتصادية، الحقوقية، والجزائية، والسياسية، والعسكرية، وغير ذلك من المجالات الثقافية، والحياتية، ولم يواجهوا بسؤال، الا واجابوا عنه، على الفور، وبلا مراجعة للكتب وتفكير طويل والملاحظ ان الخلفاء الامويين والعباسيين من أجل تشويه سمعة الائمة لدىٰ الاخرين كانوا يحاولون احضارهم للمجالس العامة الحافلة بالعلماء، ثم توجه لهم المسائل العلمية المعقدة، ولكن الائمة (ع) كان لهم النصر العلمي في كل هذه المجالس.

الشواهد القطعية دلت على انهم (ع) قد اخبروا عن حوادث المستقبل والحقائق العلمية، وقد تحقق بعضها فعلاً وبان صدقهم فيها، وبالخصوص في العصر الحديث.

فالامام الرضا(ع)يخبر عن وجود المكروب قبل ان يخترع باستور مجهره، وفي الوقت الذي كان فيه البشر غافلين تماماً عن وجوده يقول(ع) (يافتح انما قلنا اللطيف للخلق اللطيف، ولعلمه بالشئ اللطيف، اولا ترىٰ وفقك الله وثبتك الى اثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف وفي الخلق اللطيف من الحيوان الصغار والبعوض وماهو اصغر منها مما لايكاد تستبينه العيون)(١).

والامام زين العابدين (ع) يقول في بعض الادعية السجادية (اللهم وامزج مياههم بالوباء واطعمهم بالادواء)(٢) فهو يدعوه تعالى ان يمزج مياه الكفار بمرض الوباء، ولم يكتشف مكروب الوباء (الكوليرا) الاعام ١٨٨٣

---

(١)— توحيد الصدوق، باب اسماء الله ص ١٢٥.

(٢)— الصحيفة السجادية دعاء ٢٧ لاهل الثغور.

ميلادية، ولم يكن قد عرفه البشر آنذاك وقد اخبر عنه الامام (ع) في تلك الفترة، وقد اكتشف العلم اخيراً ان الماء اكبر عامل لنمو مكروب الوباء.

وجابر بن حيان الذي يسمىٰ (ابو الكيمياء) قد اخذ علومه— باعترافه— من الامام الصادق(ع).

ولاشك بان علم الغيب منحصر ذاتاً واصالة بالله تعالى فليس هناك امر يخفىٰ عليه (انما الغيب لله) ولكن الله تعالى اطلع بعض عباده كالانبياء والائمه(ع) على بعض تلك المغيبات: وقد صرح القرآن الكريم بذلك (عالم الغيب فلايظهر على غيبه احداً الامن ارتضىٰ من رسول) فان علمهم بالغيب مستمد من الله، وهذا العلم عند نبينا(ص) يفوق بمراتب، وجوده عند غيره، اذ انه (ص) افضل من غيره بالاضافة للادلة القطعيه على ذلك.

ويجب ان نضع نصب اعيننا ملاحظة هامة: وهي ان الاسلام هوالدين الافضل،والاكمل من سائرالاديان، و يلزم ان يرسل على يدافضل الانبياء واكملهم، كماهوالمتعارف في الامورالعقلائية اذن فعلم الغيب لدىٰ نبينا(ص) اوسع من علم الغيب لدىٰ غيره من رسل الله، وهناك نصوص تؤكد هذه الحقيقه (عن ابي الحسن (ع) قال قلت: جعلت فداك اخبرني عن النبي (ص) ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم قلت: من لدن ادم حتى انتهىٰ الى نفسه؟ قال: ما بعث الله نبيا الاو محمد (ص) اعلم منه)(١). والاية ٢٨ من سورة الجن تصرح بذلك ، والنصوص المعتبرة تدل على ان النبي (ص) ورث الانبياء (ع) جميعهم، وكذا الائمة (ع) قد ورثوا علوم النبي(ص)، ومن هذه النصوص (عن عبدالله ابن جندب انه كتب اليه الرضا (ع) اما بعد فان محمداً (ص) كان امين الله في خلقه فلما قبض (ع) كنا اهل البيت ورثته فنحن امناء الله في ارضه عندنا علم البلايا والمنايا)(٢).

(١)— اصول الكافي ص ٢٢٦ كتاب الحجة.

(٢)— اصول الكافي ص ٢٢٣ كتاب الحجة.

ومن النصوص ايضاً مانقله (سماعة عن ابي عبدالله(ع) قال: ان الله تبارك وتعالىٰ علمين علماً اظهر عليه ملائكته وانبياءه ورسله فما اظهر عليه ملائكته ورسله وانبياءه فقد علمناه)(١).

(١)— نفس المصدر ص ٢٢٥.

سؤال:

اكدالقرآن الكريم على ضرورة توفير العدالة في تعدد الزوجات، فان لم يتمكن الزوج من توفير هذه العدالة، فعليه الاكتفاء بواحدة (فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوافواحدة) ولكن ذكر في آية اخرى انه يستحيل تحقيق العدالة بين الزوجات (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) اذن فلماذا امر بالمحال،فهل هناك منافاة وتناقض بين الايتين؟

الجواب:

ان العدالة التي اشترطت في الآية الاولى في مجال تعدد الزوجات هي العدالة في العمل الجنسي، وفي النفقة واللباس والمسكن، فلابد من المساواة بين الزوجات في ذلك ، وهذا امر مقدور للانسان، والمقصود من العدالة في الاية الثانية، والتى اعتبرها القرآن الكريم غير مقدورة، هي العدالة من حيث الحب والميل القلبي، فلايمكن لاحدان يساوى بين الجميع في ذلك، مساواةتامة،فان ميله القلبي لاحداهما عادة مايكون اكثر من الاخرى، ولذلك لم يكلف بمثل هذه العدالة، وهذه الفكرة تستفاد من رواية عن الامام الصادق(ع) (... فقال له ابوعبدالله(ع) اما قوله عزوجل «فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة» يعني في النفقة، واما قوله «ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة» يعني في المودة)(١).

---

(١)ـ الميزان ص ٥، ص ١٠٧.

سؤال:

لماذا يجب ان نخاف الله ونخشاه، مع انه روؤف رحيم؟

الجواب:

لاشك ان الله تعالى لطيف روؤف بعباده، وبالاضافة الى ان هذه الحقيقة من الواضحات، فان الآيات الشريفة تصرح بذلك (ان الله بالناس روؤف رحيم).

ويلزم ان نعلم بان رأفته انما تتحقق في الموضع الذي يستوجب الرحمة، واما في الموارد التي يتعدى الانسان فيها على حقوق الآخرين، ويسبب الكثير من المشاكل الاجتماعية، ويعرض المظلومين للاضطهاد، فان مثل هولاء الذين لايحترمون تعاليم الله، ولايراعون حقوق الآخرين، تكون الرأفة بهم مما يخالف العدالة والصلاح، فالله تعالى يقول في كتابه الكريم (نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هوالعذاب الاليم) وفي دعاء الافتتاح (وايقنت انك انت ارحم الراحمين في موضع العفو والرحمة واشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة)، اذن فمن المنطقي ان يخاف من الله هولاء الذين لايحترمون القانون، ولايراعون حقوق الآخرين.

فليس الخوف من الله من قبيل الخوف والخشية من ديكتاتور شرير، يخافه الصالح، والمذنب، كلاهما، فان جزاء الله تعالى يدور مدار المصلحة والعدل، ففي المورد الذي يستوجب العقاب يعاقب، والا فانه يرأف ويرحم، فلا تعني الرأفة ان يرأف حتى بالمذنب، فلا يعاقبه فان هذه المعاملة تؤدي الى ان تفقد الفضيلة قيمتها بين البشر، وان تسود روح الطغيان والشر بينهم، وبالتالي ستهوي البشريه في حضيض الدمار والانحطاط.

والنبي (ص) كان متصفاً بالرأفة والرحمة، فكان يواجه اذىٰ المشركين بسعة صدر، ولكن حين تخلف ثلاثة من المسلمين عن غزوة تبوك ، امر المسلمين صغاراً وكباراً، ان يقاطعوهم وان لايتحدثوا معهم، وقد ادىٰ هذا الموقف الى ان يعود هولاء الىٰ النبي (ص) تائبين، اذن فاذا اقتضت المصالح الاسلامية العامة، مجازاة الخونة والمنحرفين بشدة، فتكون الشدة هي السلوك الملائم للعدالة، وبذلك يصرح الامام اميرالمؤمنين (ع) في وصيته لولديه (كونا للظالم خصماً وللمظلوم عونا).

وهنا ملاحظة مهمة يجدر بنا ان نتعرف عليها: وهي ان حالة الخوف والخشية من الله تعالى لدىٰ الانبياء والائمة(ع) اشد واكثر من توافرها لدىٰ الآخرين، ولكن لم يكن خوفهم من اجل ارتكابهم للذنوب، وعدم الالتزام بالتعاليم الالهية، بل ان خشيتهم كانت لاجل معرفتهم الواسعة بالله، وبقدرته اللا متناهيه، اكثر من غيرهم، ونتيجة لذلك، كان خوفهم وخشيتهم اكثر من غيرهم ايضاً، فلايخشون من صدور المعصية لانهم منزهون عنها، بل يخشون من ان يصدر منهم عمل صغير، وحتىٰ لو كان ذلك من قبيل (ترك الاولىٰ) ويسمىٰ بالاصطلاح (سيئات المقربين) يستوجب ارتكابهم له ان يهبطوا من منزلتهم السامية المقربة، والقرآن الكريم اشار لهذه الحقيقة (انما يخشىٰ الله من عباده العلماء) اي العارفون بالله كالانبياء والائمة(ع).

سؤال:

حول فرضية دارون، وهل انها صحيحة، وهل يقرها الاسلام و يوافق عليها ام لا؟.

الجواب:

ان اول من طرح فرضية تطورالانواع هو (لامارك) الفرنسي، و بعد ذلك جاء دارون، فوسعها، حيث سافر في رحلة طو يلة، لاستراليا، وامر يكا الجنوبية، ومناطق اخرى، اطلع خلالها على الكثير من الحيوانات والنباتات، وتاكدت لديه اكثر صحة فرضية لامارك .

فرضية دارون والايمان بالله:

قبل ان نتعرف على هذه الفرضية، ومناقشتها، يجدر بنا ان نشيرلكون فرضية دارون، على تقدير صحتها، لا تعارض ابداً الاعتقاد بوجودالله، بل— كما يزعم البعض— انها بنفسها من الادلة التي يمكن اثبات وجود الله بها، فان دارون يصرح بان الموجود الاول قد تطور بالتدريج، وتحول الى انواع عديدة متتالية، وسار تلك المسيرة التكاملية خلال الملايين من السنين وفق نظام دقيق معين، ونواميس ثابتة، ومن البديهي ان هذا النظام الدقيق والنواميس الثابتة المدهشة، التي هي الاساس لفرضية دارون، كبقية الانظمة والنواميس الحاكمة في هذا الكون، تدل على وجود مصدر لها، يمتلك العقل والشعور والادراك ، هو الذي هداها ووجهها، فان دارون يعتقد بان الانسان في اصله كان قرداً، ولكنه وصل للمرحلة الانسانية، على ضوء مجموعة من القوانين الخاصة، والمنظمة، وقد سار في مسير التطور، حتى اصبح بعد ملايين السنين بصورة هذا الموجود المتطور (الانسان)، كما تمر بمثل تلك المراحل نطفة الانسان، خـلال تسعة اشهر، ووفق نظام ومحاسبات دقيقة، وقوانين ثابتة، تتطور تدريجيا، لتنتهي الى هذا الانسان الكامل المتطور.

اذن فهذه الفكرة لا تصطدم بالايمان بالله، ولا تستلزم انكاره، فان الاعتقاد بالله لايعني انكار العلل والاسباب الطبيعية التي تسير وفقها الموجودات والحوادث الكونية في طريق التكامل، فان هذه العلل والاسباب بدورها مخلوقة لله، يقول محمد علي فروغي في هذا المجال (ان القول بان فرضية دارون تؤدي لانكار الصانع، غير صحيح فان نظريته من النظريات التي تدل على ان الحوادث الكونية وظواهره، خاضعة لنظام معين ثابت، قد وضع لها، وهذا افضل دليل على عدم وجود العشوائية في هذا العالم، وان لهذا العالم والبيت ربايديره و يقوده).

اذن فعلىٰ تقدير صحة الفرضية هذه، فانها لا تنافي اثبات وجودالله، ولكن ربما امكن القول بمخالفتها للكتب السماو ية التي تصرح بخلق آدم، فان القرآن الكريم يصرح بان الانسان الاول هو ادم، قد خلق من تراب، و يعتبره نوعاً مستقلاً خاصاً، يراجع في هذا المجال تفسير الميزان (الجزء ١٦، الصفحة ٢٦٩)، ولكن فرضية دارون تصرح بان اصل الانسان كان حيوانا، وليس الانسان نوعاً مستقلا منفصلا، وسيأتي ان العلوم الحديثة كما لم تقبل فرضية دارون، فانها اثبتت صحة الرأي القراني في خلق ادم.

التعرف علىٰ فرضية دارون:

ان فرضية دارون تبتني على اربعة قوانين هي الاسس لها وهي:

١ــ تنازع البقاء: يعتقد دارون في هذا الاصل، بان مختلف الموجودات في العالم، تتنازع فيما بينها، من اجل ادامة حياتها ولاجل الحصول علىٰ الشروط والظروف الملائمة لحياتها، ولايهدأ الصراع فيما بينها، ولاينتهي، بل انها في صراع مستمر.

٢ــ الانتخاب الطبيعي: ونتيجة للتنازع حول البقاء، فالذي يبقىٰ هو الاقوىٰ، الذي يمتلك اكثر من غيره، القدرات والقوىٰ الطبيعية، في البقاء، بينما يضمر الضعيف، ثم يزول و ينقرض، وفي رأي دارون ان بقاء الاقوىٰ هو الاختيار الطبيعي، الذي ينتج عن عملية التنازع حول البقاء.

٣ــ التكيف مع المحيط: تحاول جميع الموجودات ان تكيف نفسها مع المحيط، فاذا كانت تعيش في محيط تحتاج فيه الى عضو معين، فان ذلك العضو يوجد فيها، بعد الاف السنين، بالتدريج، واما اذا عاشت في محيط لاتحتاج معه لاحد اعضائها، فان ذلك العضو سيضمر ثم يزول ويختفي بعد الاف السنين نتيجة لعدم استعماله، واهماله، و يضرب دارون لذلك مثال الزرافة، فانها لم تكن في البداية، تمتلك الرقبة الطويلة، بل كانت كالفرس، ولكن بما ان محيطها الغابات، فاضطرت من اجل المحافظة على بقائها واستمرار حياتها، ولاجل ان تقتطف الثمر من الاشجار العالية لتتغذى به، اضطرت ان تمد رقبتها، ونتيجة التكرار المستمر لهذه العملية، بالتدريج، ان اصبحت رقبتها طويلة، بعد الاف السنين، وكذلك يعتقد دارون بان الفيل لم يكن له هذا الخرطوم الطويل والاسنان العاجية، ولكن المحيط وشروط الحياة، هي التي اوجدتها، وضرب دارون الامثلة على زوال بعض الاعضاء الزائدة، نتيجة

اهمالها وعدم استعمالها، كالحية، حيث انها كانت تمتلك الاطراف الاربعة، كسائر الحيوانات، ولكن محيطها وظروف حياتها، هي التي غيرتها، حيث كان المفروض عليها ان تسير في الطرق الضيقة، فلم تحتج لاستعمال رجليها و يديها، ونتيجة عدم استعمالها بالتدريج، وعبر الاف السنين، تغيرت، واصبحت بوضعها الحالي.

٤– عامل الوراثة: يعتقد دارون ان التغييرات الحاصله في الحيوانات، والتي ادت اليها محاولتها للتلاؤم و التكيف مع المحيط الذي تعيش فيه، هذه التغييرات تنتقل للجيل اللاحق على طبق قانون الوراثة.

وعلى ضوء هذه القوانين الاربعة، اعتقد دارون، بان هذه الانواع العديدة من الحيوانات كانت في البداية نوعاً واحداً من الحيوان، و بصورة حيوان بسيط. ولاجل التنازع حول البقاء، انقرضت الحيوانات الضعيفة، وحلت محلها، الحيوانات القوية، ونتيجة لمحاولة التكيف مع المحيط حدثت في هذه الحيوانات القوية تغييرات كلية، بالتدريج، وانتقلت لسلالاتها، باصل الوراثة، ولكثرة الاختلاف والتغييرات الطارئه على الجسم، والاعضاء تحولت بالتدريج الى انواع اخرىٰ مختلفة عن الانواع السابقة لها، و يرىٰ دارون ان الانسان من تلك الموجودات الخاضعة لهذا الحكم الطبيعي.

فيعتقد دارون بان الانسان في البداية، وقبل ان يصل لمرحلته الانسانية كان بصورة قرد، ولكن بعد ان طوىٰ مراحل المسيرة التطورية الطويلة، تحول الى الشكل الانساني الذي نراه اليوم، و يلزم ان نعرف بان دارون لم يقصد من القرد الاصل، هوالقرد الذي نراه اليوم، بل هو قرد لم يعثر حتىٰ الان على نوعه وشكله و يطلق عليه اسم (الحلقة المفقودة).

مناقشة فرضية دارون:

بعد تقدم العلوم البيولوجية والطبيعية بعد عصر دارون، اصبحت هذه الفرضية من مئات الفرضيات المهجورة، ومن الخيالات التي تخطرفي اذهان

البعض واهم القوانين في فرضية دارون، القانون الثالث والرابع. ونناقش في البداية، هذين الاصلين، ثم بعد ذلك. نناقش الاصلين الاولين.

مناقشة القانون الثالث:

يعتقد دارون بان الحيوان يحاول ان يكيف نفسه مع المحيط الذي يقيم فيه، فلو احتاج لعضو فسوف يصنعه تدريجيا عبر الاف السنين، واذا كان العضو زائداً فانه سوف يز يله نتيجة اهماله، وعدم استعماله بالتدر يج.

وهذا الاصلُ غير صحيح، فانه وان كان صحيحاً في الحيوانات وفي بعض النباتات، الا انه لايعتبر قانوناً عاماً شاملاً بحيث يكون العامل الرئيس في التغييرات الكلية والجذر ية والنوعية، بحيث تستوجب ان يتحول الحيوان من نوع الى نوع آخر، فالتجارب العلمية قد اثبتت ان بعض النباتات والحيوانات قد ابيدت حين تغير محيطها و بيئتها وظروف حياتها، ولم تستطع ان تكيف نفسها مع البيئة الجديدة، وهناك قسم آخر منها قد احتفظت بوجودها بعد تغير محيطها، وان حدثت فيها بعض التغييرات الشكليه والجزئية، كالتغير الحاصل في حجم البدن اووزنه اوشكله الظاهري، بحيث لا تعتبر تغييرات نوعية، تحول الموجود من نوع الى نوع آخر. يقول تيكوتت، العالم البيولوجي (ان بعض الديـــدان التي تعيش في شجرة البلوط حين نقلت منها وجعلت على شجرة الجوز، فشوهد انها لم تتمكن ان تكيف نفسها مع المحيط الجديد، لذلك ماتت،(الطو يل، بالتدر يج، لاجل محاولة تكييف نفسه مع المحيط، ولكن هذا الاستدلال غير صحيح، فانه يمكن الاستدل بالعكس، اي يمكن القول بان البط بما انه يمتلك منقاراً طو يلاً وغشاءاً بين اصابعه، لذلك اختار شواطئ الانهار والبحار والمواضع الموحلة بالطين، وهذا ماصرح به ادمون بر ييه(١).

والفأر الاعمى من الحيوانات الثديية تمتلكُ عيناً قد فقدت قوة ابصارها، ومخالب قو ية، واصبعا زائدة، و يقول دارون حول هذه الفأر، بان

---

(١)– يلاحظ، كتاب على اطلال المذهب المادي، ط ١، ص ٩٥.

هذه الخصائص قد حدثت فيها نتيجة محاولتها التكيف مع المحيط، فان هذا الحيوان بما انه يعيش تحت الارض، وعمله هو حفر الارض، لذلك اتصف بهذه الصفات، مع انه يمكن الاعتراض عليه بان هناك حيوانات، عملها الحفر تحت الارض، وتعيش نفس المحيط المظلم الذي يعيشه هذا الحيوان، ومع ذلك لم يتصف بهذه الصفات.

وبهذه الاعتراضات ينهار الاصل الثالث، وان التكيف والملاءمه مع المحيط، غير صحيح، فهو وان كان صحيحاً بصورة جزئية وشكلية، ولكنه ليس صحيحاً، بصورة كلية وعامة، فان التغييرات التي يحدثها التكيف مع المحيط تغييرات سطحية، شكلية، وليست الى المقدار الذي يستوجب تغيير النوع الى نوع آخر.

والقسم الذي بقي منها تحولت القطع الجلدية الملونة فيها واكتسبت اللون الابيض— وعندما اعادها مرة اخرى الى شجرة البلوط بقيت القطع الجلدية بيضاء، ولكن سلالتها عاد اليها اللون الطبيعي.

ومثل هذه التجربة اجريت في النباتات، كالنباتات التي تعيش في الارض الملحية، فحين نقلت الى ارض مليئة بالماء والرطوبة، شوهد بانها قد ماتت وذبلت.

وهناك تجربة في الحيوانات اجراها (بن) وهو احد العلماء الكبار، فقد جعل(٦٩) سلالة متعاقبة من الذباب، تعيش في ظلام دامس، بحيث لا ترى عيونها اي شئ، واخرج السلالة الاخيرة الى النور، فلاحظ ان عيونها طبيعية سليمة، مع ان دارون يعتقد ان اهمال العضو، وعدم استعماله، مثل هذه المدة الطويلة يؤدي الى زوال ذلك العضو، والملاحظ اننا قد نعثر في المواضع المظلمة القاتمة على حيوانات تمتلك عيوناً حادة، ونظراً قوياً جداً.

و يعتقد دارون ان البط لم يكن له هذا المنقار الطويل ولم يكن له هذا

الغشاء بين اصابعه، ولكن نتيجة احتياجه للسباحة، وافتقاره لالتقاط بعض الكائنات الحية من الماء المخلوط بالطين، وجد هذا الغشاء بين اصابعه، والمنقار).

مناقشة القانون الرابع:

وهو (عامل الوراثة) فان دارون يعتقد بان التغييرات الناشئة من المحيط تنتقل من النسل السابق للاحق، بواسطة عامل الوراثة، اي انه يقول بانتقال الصفات المكتسبة.

ولكن علم الوراثه قد اثبت بطلان هذا الرأي، وفرضية دارون ظهرت في فترة لم تتكامل فيها العلوم البيولوجية والطبيعية، كما هو الحال في يومنا هذا، و بالخصوص علم الوراثة، فان اطلاعاتهم في هذا المجال كانت ضئيلة جداً، آنذاك ، ولكن اليوم، ومع التطور الكبير في علم الوراثه، فقد الاصل الرابع من فرضية دارون قيمته العلمية، فان اصل الوراثة وان كان اصلاً ثابتاً، ومعترفاً به في الحيوانات والنباتات، ولكن لايجري قانون الوراثة في الصفات المكتسبة والتغييرات الطارئة، وكان دارون يعتقد بان كل تغيير يطرأ على النسل السابق تنتقل لسلالاته، بينما اثبت علم الوراثة بان التغييرات العارضة اذا اثرت في الجينات فهي التي يمكنها الانتقال بواسطة الوراثه، للسلالة اللاحقه، واما لو لم تؤثر الصفات المكتسبة والتغييرات العارضة في الجينات، فلا تنتقل عبر الوراثة للسلالة اللاحقة.

و يذكر بعض الباحثين، ان هناك اعتراضات كثيرة يمكن توجيهها لفرضية دارون، فهناك فجوات، ونقائص كثيرة، في هذه الفرضية، سببها ضآلة المعلومات، وعدم تطور العلم في ذلك العصر الذي ظهرت فيه هذه الفرضية، واهمها الجهل المطبق حول طبيعة العمل الوراثي، و يذكر جورج جيلورد في كتابه (ظهور الموجودات وتطورها) (ان اثر استعمال الاعضاء وعدم استعمالها قد جعله دارون موضوعاً لدراسته، ولكن في هذه النظرية اخطاء

كبيرة، فان هذه الفرضية تصرح بان الوراثة هي التي تعلل انتقال الخصائص الاخلاقية المكتسبه بواسطة المحيط والعادة).

ولاجل التعرف على هذه الفكرة اكثر، ننقل بعض التجارب التي قام بها العلماء في هذا المجال:

يعتقد علماء البيولوجيابان الصفات المكتسبة والعارضة، في كل فرد، انما تنشأ فيه نتيجة عوامل ستة:

١ــ قطع عضو واحد او اكثر.

٢ــ نتيجة بعض الامراض.

٣ــ نتيجة مناعة البدن تجاه بعض الامراض.

٤ــ اثر المحيط وظروف الحياة.

٥ــ استعمال الاعضاء وعدم استعمالها.

٦ــ التعليم والتربية.

ولكن التجارب العلمية اثبتت ان هذه الصفات المكتسبة نتيجة العوامل الستة السابقة، لا تنتقل للسلالة اللاحقة بوساطة الوراثه.

١ــ ففي مجال قطع الاعضاء، قد اثبتت التجارب الدقيقة خلاف ذلك فقد قطعت ذيول اثنتين وعشرين سلالة من سلالات الفأر، بصورة متوالية، ولكن السلالة الاخيرة ولدت، وهي تمتلك الذيول، بنفس الطول والحجم، الذي كان يمتلكه الجيل الاول، ونحن نرى المسلمين، ولقرون طويلة، يختنون اطفالهم ومع ذلك نرى الجيل اللاحق يولد بدون ان يكون مختونا، وغشاء البكارة، اكثر دلالة من كل هذه الشواهد، فانه بالزواج يتمزق هذا الغشاء، وهذه الظاهرة قد ابتدأت منذ خلق الانسان الاول حتى الان، ولكن رغم ذلك يظهر الغشاء سليما في الاجيال اللاحقة.

٢ــ الآثار الناشئة من الامراض لا تورث ايضاً، اذان الكثير قد اصيبوا بالامراض، ولكن لم تنتقل آثارها الى سلالتهم.

٣– قد يكتسب البدن مناعة نتيجة اصابته ببعض الامراض او المكروبات ولكن لا تنتقل هذه المناعة لسلالاته.

٤– نحن لاننكر اثر المحيط تماماً، كما ذكرنا ذلك سابقاً، ولكن لانعترف به بصورة عامة كلية، وعلى تقدير شموليته، فانه لاينتقل للاجيال اللاحقه بوساطة الوراثة، فقد اجرى (سومتر) في سنة (١٩١٥) تجربة على مجموعة من الفئران بان جعل بعضها في غرفة تبلغ درجة حرارتها(٢١) درجة وجعل بعضها الآخر في غرفة باردة تبلغ درجتها من صفر الى اربعة تحت الصفر، والى مدة ستة اشهر، فلاحظ ان اعضاء بدن الفأر الموجود في الغرفة الحارة اكثر نمواً ورشداً من الموجود في الغرفة الباردة، و بالخصوص في نموذيولها، ولكن حين تناسلت، وتكاثرت، خرج سلالاتها للهواء الطبيعي، رأى بان طول وحجم الذيل، وسائر اعضاء البدن، قد اخذ يتساوى في الجميع.

٥– في مجال استعمال الاعضاء وعدم استعمالها: فمن خلال بعض التجارب لوحظ ان الاستعمال او الاهمال لايستوجب تغييراً كبيراً نوعياً في الحيوانات وعلى تقدير حدوث التغير فانه لاينتقل بالوراثة.

٦– في مجال التربية والتعليم في الحيوانات: فلا نشك في تأثير التربية، ولكن آثارها لا تنتقل بالوراثة للسلالة اللاحقة، فقد انشأ الكثير من الحيوانات نشأة خاصة. واخضعت لتربية معينة، ولكن آثار تلك التربية لم تنتقل لسلالاتها بالوراثة.

ومن ذلك كله يظهر ان الصفات المكتسبة العارضة، باية صورة كانت، لا تنتقل للاجيال اللاحقة بالوراثة، ولكن بشرط عدم تأثيرها في الجينات.

ومن هنا يظهر بطلان الاصل الرابع.

الغرائز وفرضية دارون:

من المسائل التي لم تقدم فرضية دارون حلولاً واضحة مقنعة لها، مسألة وجود الغرائز في الحيوانات، فان الحيوانات كلها خبيرة باساليب معيشتها، وكل نوع من الحيوانات يعرف احتياجاته الخاصة معرفة تامه، و يستطيع ان يشبع هذه الاحتياجات باساليب غر يز ية.

والدارو ينية تقول بان هذه الغرائز التي نلاحظها اليوم في الحيوانات، لم تكن موجوده فيها، في البداية، وانما اكتسبتها الحيوانات بالتدر يج، ونتيجة الاحتياج اليها في مسيرة تطورها، وانتقلت هذه العلوم والادراكات والغرائز للاجيال اللاحقة بالوراثة.

ولكن هذا الرأي غير صحيح: لانه لو امكن لهذه الغرائز والعلوم والادراكات ان تنتقل بالوراثة، لامكن لعلوم الانسان ان تنتقل بالوراثة للجيل اللاحق، مع انه ليس كذلك كما يذكر ذلك فر يد وجدي في كتابه (على اطلال المذهب المادي) فلم يصبح ابن الطبيب طبيبا، مع استعدادات الانسان ومؤهلا ته لذلك اكثر من الحيوانات بكثير.

عمر الارض وفرضية دارون:

يرىٰ دارون بان الحركة التطور ية للانواع كانت بطيئة جداً، وعلى ذلك يجـب ان تكون عملية التطور في الحيوانات قد تمت خلال زمان طو يل جداً اكثر من المدة التي حددها العلماء لعمر الارض، فما تذكره الدارو ينية، عن عمر الارض بانها تبلغ الاف الملايين من السنين، ليتلاءم هذا العمر مع نظر ية التطور، لا توافق عليه، الاصول والقواعد العلمية الحديثة، (ونحن نعترف بانه

لا توجد نظرية مسلمة ومقطوع بها حول عمر الارض، وكلما ذكر هي فرضيات لم تصل الى حد الجزم واليقين العلمي) و يذكر العلماء بانه من خلال اشعة الراديوم قد اكتشف ان عمر الارض يناهز الفي مليون سنة، ولكن وفق فرضية دارون، يلزم ان تطوي المسيرة التطورية مدة لا تقل عن خمسة الاف مليون سنة.

بالاضافة الى ان الباحثين في علم طبقات الارض، والحفريات قد اثبتوا ان النباتات والحيوانات كانت آنذاك بنفس الصورة التي هي عليها اليوم، مع تغييرات شكلية ضئيلة لا تصل الى حد التغيير النوعي، و يعتقد (كو ينو) ان كل نوع من الحيوانات قد وجد بصورة مستقلة عن بقية الحيوانات، وليس هناك اي علاقة بينها، واثبت علماء الجيولوجيا امثال (كوب، وهيلر) بان الارض قبل ان تكتسب صورتها الراهنة، قد مرت بادوار ومراحل تطورية متعددة، وفي كل مرحلة وجدت بعض الانواع من الحيوانات، والانسان قد وجد في المرحلة الاخيرة، وهو موجود مستقل ليس له علاقة بما سبقة من الموجودات، كما ليس له اي قرابة اومشابهة بالكائنات الحية الاخرى.

المتحجرات وفرضية دارون:

من المستندات والشواهد التي تدل بصورة مؤكدة على اصالة الانسان واستقلاليته، المتحجرات و بقايا الحيوانات والنباتات التي عثر عليها الباحثون في حفر ياتهم في طبقات الارض.

فقد لاحظوا بان جماجم البشر في العهد الرابع، بل الانسان بمجموعه، لايختلف عن الانسان فيعصرنا الحديث، بل ان النقص في الانسان الحديث اكثر، وفي عام (١٩٤٧) عثر الدكتور (كونيكس والد) في ضمن حفر ياته في جز يرة (جاوه) على عدد كبير من عظام الجمجمة والفك واليد والقدم، ومجموعة من الاسنان من بقايا الانسان الذي عاش قبل ملايين السنين، في اعماق

الارض، وقد قدمها لمتحف نيو يورك ، وتدارسها العلماء فتو صلوا الى بعض الاراء، منها ان الانسان موجود مستقل، وانه يحتفظ بصورته القديمة حتى اليوم، ومنها ان هذه العظام قد اثبتت بانها اكثر قدماً من عظام القرود.

و يقول الاستاذ (فيركو) الالماني وهو من اعلام الانثر و بولوجيا في كتابه— النوع الانساني (يجب علي ان اعلن بان جميع الترقيات الحسيه التي حدثت في دائرة علم الانثرو بولوجيا السابقة على التار يخ تجعل القرابة المزعومة بين الانسان والقرد تبعد عن الاحتمال شيئاً فشيئاً فاذا درسنا الانسان الحفري في العهد الرابع، وهو الذي يجب ان يكون الانسان فيه اقرب الى اسلافه نجد انسانا مشابها لنا كل الشبه، فان جماجم جميع الرجال الحفر يين تثبت بطر يقة لا تقبل المنازعة بانهم كانوا يؤلفون مجتمعاً محترماً للغاية وكان حجم الرأس فيهم على درجة يعتبر الكثير من معاصر ينا انفسهم سعداء اذا كان لهم رأس مثله، واذا قابلنا مجموعة الرجال الحفر يين الذين نعرفهم للان بمانراه في ايـــامنا هذه استطعنا ان نؤكد بكل جرأة بان الاشخاص ناقصي الخلقة بين الرجال العصر يين اكثر منهم بين الرجال الحفر يين، ولااتجاسر ان افترض باننا في اكتشافاتنا الحفر ية لم نصادف غير اصحاب القرائح السامية من اهل العهد الرابع، والعادة اننا نستنتج من تركيب هيكل عظمي حفري تركيب معاصر يه الذين عاشوا معه في وقت واحد، ومهما كان الامر فيجب علي ان اقول بانه لم توجد قط جمجمة قرد تقرب حقيقة من جمجمة الانسان)(١).

و يقول دوكاتر العالم الطبيعي الفرنسي (لم تلاحظ اي مشابهة وقرابة بين الانسان والقرد، وتدل مخلفات العهد الرابع بان انسان تلك الفترة يشبه انسان عصرنا تماماً). مع انه طبقا لفرضية دارون يلزم ان يكون انسان ذلك العهد اقرب شبها بالقرد من الانسان.

(١)— على اطلال المذهب المادي، فريد وجدي، ط ١، ص ١٠٥.

مناقشة القانون الاول

فقد اعتبر دارون التنازع حول البقاء قانونا طبيعيا وعاماً، واعتبره الاساس لناموس الانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح والاقوىٰ، مع اننا لو اعترفنا بتنازع البقاء، واعتبرناه قانوناً طبيعيا للزم علينا ان نشجب جميع الاصول الاخلاقية والقيم العليا والعواطف والمشاعر السامية، وان نقر ونبرر جميع الحروب الوحشية التي يشنها الاقوياء الاشرار على الضعفاء لسلب حقهم في البقاء، فان هذه الحروب تطبيق لقانون تنازع البقاء في حياة الشعوب، واذا اعتبرنا قانون التنازع حول البقاء اصلاً طبيعيا، فيلزم علينا ان نؤيد استثمار الطبقة القوية للطبقات الضعيفة.

يقول محمد علي فروغي، مع انه يعتبر نفسه من انصار فرضية دارون (اذا اعترفنا بتنازع البقاء فلابد ان تكون الحروب والنزاعات الناشبة بين الشعوب، بل الافراد، امراً طبيعياً، وان الحق دائماً مع المنتصر والاقوىٰ، ولانعتبر الضعيف مظلوماً، اجل اذا اعترفنا بهذا الاصل، فلابد ان نعتبر الرغبة في الصفح، والسلام، والرأفة، والرحمة، رغبة بامر مخالف للقوانين الطبيعية، ويجب ان يبقىٰ الناس متصارعين فيما بينهم، ولهم الحق في ممارسة ابشع الجرائم والاعمال الوحشية، وهذا اعتراض اخلاقي يوجه لهذه الفرضية)(١).

علماء الغرب وفرضية دارون:

نرىٰ من المناسب هنا، ان نذكر بعض اراء العلماء الغربيين في تقييم هذه الفرضية:

---

(١)— يلاحظ كتابه بالفارسيه (سير حكمت در اوربا) ص ١٥٧ ح ٣.

يقول (فون باير) العالم الالماني الكبير، وهو من اقطاب الفزيولوجيين والحفريين والبيولوجيين في كتابه (دحض المذهب المادي) يقول (ان الرأي القائل بان النوع الانساني متولد من القردة السيميانية، هو بلاشك ادخل رأي في الجنون قاله رجل على تاريخ الانسان، وجدير بان ينقل الى اخلاقنا جميع الحماقات الانسانية مطبوعة بطابع جديد، يستحيل ان يقوم دليل على هذا الرأي المضحك من جهة المكتشفات الحفرية)(٢).

يقول ايلي دوسيون، وهو من كبار علماء الفيزيولوجيا في كتابه (الله والعلم) (بعد ان قام المذهب الداروينى بمقاومة خصومه عشرين سنه، قضي عليه قضاءاً تاماً، وهلك تحت ضربات اشد اشياعه غيرة عليه)(١).

وهناك غيرهما من العلماء الغربيين، الذين انتقدوا هذه الفرضية وشجبوها، ومما يؤسف له ان البعض منا يعترف بهذه الفرضية، و يعتبرها من المسلمات، مع ان الغرب قد رفضها منذ زمن طويل.

وقد اكتشف عالم بريطاني اخيرا، جمجمة انسان عاش قبل مليونين وخمسمأة سنة، في (كينيا)، وهي اقدم جمجمة عثر عليها حتى الان، اذان جمجمه التي عثر عليها قبل ذلك، مما ترتبط بانسان عاش قبل مليون وخمسمأة سنة، وقد اثبت هذا العالم البريطاني بان هذا الاكتشاف قد اثبت بطلان جميع الفرضيات العلمية التي طرحت في مجال تطور الانسان، وتحوله.

---

(٢)— على اطلال المذهب المادي حـ ١، ص ١٠٣.

(١)— على اطلال المذهب المادي، حـ ١، ص ١٠٦.

سؤال:

ماهي الفوائد الاجتماعية للمتعة؟ وهل يأتي اليوم الذي تصبح فيه المتعة قانوناً عالميا يعترف به الجميع؟.

الجواب:

قانون المتعة من اثرىٰ القوانين الاسلامية من حيث احتوائه علىٰ الكثير من الفوائد الاجتماعية، ومن اهمها، انه يقف كسد منيع بوجه الفساد الخلقي، واشاعة الفاحشة في المجتمع، ويحفظه من انواع الانحرافات.

فان الغريزة الجنسية من اشد الغرائز البشرية قوة، وطغيانا، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فان مشاكل الزواج الدائم ونفقاته الباهظة، ومشاكل أخرىٰ، لايتمكن لكل احد ان يتحملها، وبالخصوص الشباب، خلال فترة الدراسة، هذه المشاكل تحول بين الفرد والزواج الدائم، ومن جانب ثالث: اشاعة الفاحشة، وانتشار الاوبئة والامراض الجنسية والتناسلية، والولادات غيرالشرعية، وعشرات اخرىٰ من المفاسد الاخرىٰ، حيث تؤدي الى سقوط وانهيار الفضيلة والاخلاق والقيم والصحة، والسلام، والنظام الاجتماعي وتوازنه.

ومن هنا كان من الضروري وضع قانون لايشتمل على الزواج الدائم، وفي نفس الوقت، يحتفظ بسلامة الحاجات والرغبات الجنسية وطهارتها، ولايفسح المجال لطغيان هذه الغريزة الهائجة، وليس هذا القانون الا المتعة اي الزواج الموقت.

ففي الزواج الموقت تتحدد علاقات الرجل والمرأة بحدود القانون والعقد، واذا ولد لهما ولد فانه يكون محتفظاً بعلاقته النسبية كسائر الاولاد من الزواج الدائم، من حيث الحقوق والواجبات، ولكن نفقة المرأة لاتكون على

عاتق الرجل، وبما ان مدة الزواج معينة منذ بداية العقد، لذلك لاتحدث مشاكل الطلاق، بسبب الفراق بينهما بعد انتهاء المدة المعينة.

وهنا ملاحظة يجب التنبه لها وهي: ان الاسلام قد جعل للمرأة المعتدبها، عدة معينة كالزواج الدائم، بعد الانفصال عن الزوج، لاجل المحافظة على طهارة المرأة وسلامتها، ولاجل المحافظة على نسب الابناء، ومراعاة هذه العدة تستوجب ان يحتفظ الولد بنسبته لامه وابيه، وحفظ المرأة من الامراض المختلفة، والمفاسد الاخرى الناتجة من العلاقات غير المشروعة.

ولاجل توضيح هذا البحث اكثر، لابد من التعرف على الآثار الاجتماعية للزواج الموقت بصورة موجزة:

١— تخليص الرجل والمرأة من الفساد الخلقي، والانهيار المعنوي.

٢— انتشال المجتمع من السقوط في المعاصي والذنوب، وحفظه من الاصابه بالامراض المختلفة الناشئة من العلاقات الجنسية غيرالمشروعة.

٣— انقاذ الاسرة من السقوط والانهيار الاجتماعي.

٤— تخليص المجتمع من الاطفال غير الشرعيين، فان عقدة الحقاره والانسحاق تعمل اثرها المدمر في الملايين من الاطفال غير الشرعيين، دون ارادة واختيار منهم لهذا المصير السيئ.

٥— القضاء على اللواط، وعشرات المفاسد الناتجة منه.

الزواج الموقت ومفكروا الغرب:

نحن نعتقد بانه بتقدم العلم سوف يدرك العالم مدى اهمية هذا القانون، وسوف يصل اليوم الذي يعتبر فيه من الضرورات الحياتية للانسان، والشروط اللازمة للمجتمع السليم، وقد لاحت بوادر هذا الامل تظهر واضحة في الغرب، ونحن انما نذكر اراء الغربيين، لاقناع اولئك الذين ينظرون ويحكمون على مختلف المسائل والقضايا بمنظار الغربيين، و يعتبرون اراءهم هي

المعيار لصحة الاشياء، وننقل بعض ارائهم، لنرىٰ ان بعض المفكرين الغربيين يدعون الى مايشبه الزواج الموقت، لاجل سلامة المجتمع، وانقاذ الشباب من المفاسد الجنسية، والانحطاط الخلقي، والحد من طغيان الشهوة.

ومن هذه الاراء ماذكره برتراندراسل، وننقل رأيه هذا من كتاب الفلسفة القرانية للعقاد (فهذا الفيلسوف— اي رسل— يرىٰ ان سن الزواج قد تأخرت بغير اختيار وتدبير، فان الطالب كان يستوفي علومه قبل مائة سنة اومائتين في نحو الثانية عشرة اوالعشرين، فيتأهب للزواج في سن الرجولة الناضجة، ولايطول به عهد الانتظار الا اذا آثر الانقطاع للعلم مدىٰ الحياة، وقل من يؤثر ذلك بين المئات والألوف من الشبان).

(اما في العصر الحاضر فالطلاب يتخصصون لعلومهم وصناعاتهم بعدالثامنة عشرة اوالعشرين، ويحتاجون بعدالتخرج من الجامعات الى زمن يستعدون فيه لكسب الرزق من طريق التجارة اوالاعمال الصناعية والاقتصادية، ولايتسنىٰ لهم الزواج وتأسيس البيوت قبل الثلاثين، فهناك فترة طويلة يقضيها الشاب بين سن البلوغ وبين سن الزواج لم يحسب لها حسابها في التربية القديمة وهذه الفترة هي فترة النمو الجنسي والرغبة الجامحة وصعوبة المقاومة للمغريات، فهل من المستطاع ان نسقط حساب هذه الفترة من نظام المجتمع الانساني، كما اسقطها الاقدمون وابناء القرون الوسطىٰ).

(يقول الفيلسوف ان ذلك غير مستطاع، واننا اذا اسقطناها من الحساب فنتيجة ذلك شيوع الفساد والعبث بالنسل والصحة بين الشباب والشابات، وانما الرأي عنده ان تسمح القوانين في هذه السن بضرب من الزواج بين الشبان والشابات لايؤدهم تكاليف الاسرة، ولايتركهم لعبث الشهوات والموبقات ومايعقبه من العلل والمحرجات وهذا ماسماه بالزواج العقيم اوالزواج بغير اطفال واراد به ان يكون عاصماً من الابتذال ومدرباً على المعيشة المزدوجة قبل السن التي تسمح بتأسيس البيوت)(١).

(١)— الفلسفه القرانيه، للعقاد، ص ٧٤.

ولعل هذا الضرب من الزواج الموقت الذي اقترحه رسل يشبه الى حد كبير قانون المتعة في الاسلام، من حيث الشروط التي اعتبرها هذا الفيلسوف لهذا الزواج، اذ الشروط الرئيسية التي اشترطها الاسلام للزواج الموقت هي رضا الطرفين، واجراء صيغة العقد، وتعيين مدة الزواج، وتعيين المهر.

واما الشروط الثقيلة الاخرى المقررة للزواج الدائم، فلا وجود لها في هذا الزواج، فلا تلزم النفقة على الرجل، ولايلزم عليه توفير المسكن، ويجوز للزواج العزل، وغيره مما يمنع من حدوث الحمل، حتى بدون رضا الزوجة، بخلاف الزواج الدائم الذي لايسمح له ذلك بدون رضاها.

وعلى ضوء ذلك، فيمكن القول بان الزواج الموقت الذي اقترحه رسل ينطبق الى حد كبير مع الزواج الموقت في الاسلام.

ومنها ماقترحه (و يلموانلون) الاستاذ في احدى الجامعات الامريكية، ومن الاعضاء السابقين للبرلمان، وله بحوث ودراسات واسعة حول المسائل الجنسية والاجتماعية، وقد عرض هذه الدراسة على البرلمان الامريكي، يقول فيها (قد اثبتت التجارب والدراسات العلمية والقوانين الحياتية ان المرأة والرجل، بعد مدة قصيرة من زواجهم، يضعف احساسهم باللذة الجنسية، و ينضب ذلك النشاط الذي كان يدب فيهم في الايام الاولى من الزواج، ومن هنا ربما تؤدي هذه الحالة فيهم الى الانحراف، وقد اثبتت الاحصائيات بان (٦٥٪) من الرجال يخونون زوجاتهم، وهكذا الامر في النساء، فالخيانة الزوجية ظاهرة شائعة في عصرنا، ولاجل مواجهة هذه الانحرافات يلزم على الدولة ان تشرع زواجاً موقتا، يخضع للشروط، والمدة التي يتوافق عليها الطرفان)(١).

و من هولاء (ليندسي) و قد كان رئيساً للمحكمة التي تشرف على

---

(١)– حقوق المرأة في الاسلام، باللغة الفارسيه، ص ١٨١.

جرائم الشباب في امريكا، ولسنين طويلة، و من الحقوقيين المعروفين هناك ، وقد اقترح نوعاً جديداً للزواج، و في البداية اشار لهذه الحقيقة، بان المانع من اقدام الشباب على الزواج هوالفقر، وعدم المال، و بعد ذلك يقول، بانه لابد ان يسمح بنوع آخر من الزواج لهؤلاء الشباب، بحيث يفترق هذا النوع عن الزواج المتعارف بثلاثة فروق:

١— ان لايقصد الزوجان انجاب الاولاد من البداية.

٢— ان يتمكن الزوج والزوجة و بكل سهولة من الافتراق، مادام لم ينجنبا ولداً، والزوجة لم تكن حاملاً.

٣— في صورة الافتراق لا تلزم الزوج النفقة على الزوجة.

وقد ايد رسل هذا الاقترح تأييداً شديداً، واعتبره من الحلول الناجعة لمشاكل الشباب)(١).

---

(١)— العلاقات الجنسيه والاخلاق، لراسل، باللغة الفارسيه، ص ١٥٦.

سؤال:

هل يصح مانسب للامام اميرالمؤمنين(ع) من انه قال بضرورة تربية الاطفال وفق زمانهم، وهل يعني ذلك تربيتهم وفق عصرهم سواء كان ذلك العصر ملتـــزماً بالقيم الانسانية الرفيعة والتعاليم الالهية او كان بعيداً عنها؟

الجواب:

الرواية المشهورة عن الامام(ع) هي (ادبوا اولادكم لزمان بعد زمانكم)، ولا تعني، تربية الولد على كل التعاليم والسلوك الذي يقتضية ذلك الزمان، اذ ربما يكون السلوك الشائع فيه، مخالفاً للاصول الاخلاقية والقيم العليا، حيث سيكون مانعاً من سعادة الاولاد وتكاملهم، ولايحتمل ان يأمر الاسلام بمثل هذه التربية المنحرفة، فان الاسلام الذي كافح الذنوب والمعاصي بشدة، هل يأمر بمايؤدي للقضاء على الفضائل؟ اذن فلابد ان تكون الرواية مشيرة الى معنًى آخر، فهي تعني تنشأة الاولاد على متطلبات الزمان، التي لا تخالف الفضائل، والتعاليم الالهية الحقة.

فمثلاً لواراد الاب ان يعلم ولده الطـــب،فلابد ان يعلمه الطب الحديث، لانه الذي يقتضيه ذلك الزمان و يتطلبه، و اذا اراد ان يعلمه فن الركوب، فيلزم ان لايكتفي بتعليمه طريقة ركوب الحمار، اوالجمل، بل يعلمه سياقة السيارة بمايوافق العصر الحديث، اذن فمتطلبات الزمان التي تجب تربية الاولاد عليها، تعني ماله تأثيره في التقدم والتطور العلمي والمادي للاولاد، بحيث لايكون مخالفاً للاصول الاسلامية، والتعاليم الالهية، والاخلاق الرفيعة والفضائل.

سؤال:

لماذا لايمكن تطبيق بعض القوانين الاسلامية في عصرنا الحديث، كاجراء العقوبة المحددة للسارق، اوالزانى، اوشارب الخمر، مع اننا نعتقد بان الاسلام دين شامل دائم، وقوانينه تقبل التطبيق في كل عصر؟.

الجواب:

ممايؤسف له، ان جهل المسلمين، وعدم علمهم بشريعتهم المقدسة، ادىٰ الى ان يبث اعداء الاسلام سمومهم في صفوف المسلمين، ولكن لوتعرفت البشرية علىٰ واقع الاسلام لادركت انه الطريق الوحيد لسعادتها، ولاتجهت اليه.

فعدم التزام المسلمين بشريعتهم المقدسة، وجهلهم بها، لم يؤد الى تأخر المسلمين وانحطاطهم فحسب، بل اعطىٰ الفرصة ايضاً لاعداء الاسلام لنشر الانحرافات بين المسلمين.

منهج التربية في الاسلام:

ولاشك بان الاسلام، من اجل ان يكافح الانحرافات والمعاصي، و من اجل ان يقتلعها من جذورها، شرع بعض القوانين الجزائية الصارمة، ولكن يجب ان لاننسىٰ ان الاسلام قد شرع مناهج تربويه عديدة ايضاً، كل ذلك من اجل ان يبقىٰ المجتمع سليما، نظيفاً، تسوده الفضيلة، بعيداً عن الفساد والذنوب.

وكلنا يعلم بان التعاليم التربوية الاسلامية غير محدودة، وان تطبيقها هو الذي يكفل للمجتمع ان يعيش في امان وسعادة، ان نظرية الاسلام في

التربية، تعني تنمية الايمان بالله في قلوب الناس، ودفعهم الى التفكير بالمعاد و يوم الحساب، ودعوة الناس للفضيلة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والكثير من الاصول والقوانين الرفيعة الاخرى، التي يحفل بها الاسلام، والتي يقف تطبيقها سداً منيعاً بوجه اشاعة المعصية والفحشاء والضلال.

و هناك نماذج عديده في تاريخ الاسلام لتأثير المناهج التربوية الاسلامية في انقاذ بعض المنحرفين من اوحالهم، وهدايتهم الى الطريق المستقيم.

(فالفضيل بن عياض) كان من السراق، وقطاع الطرق المعروفين، ولم يتخلص من شره الا القليل من القوافل، ولكن هذا السارق حين اراد في احدى الليالي السطو على احدى البيوت، للتعدي على فتاة تسكن فيه، و صادف، انه كان هناك رجل مؤمن قريباً من ذلك البيت، يتلوالقران الكريم بصوت ملئي بالعذوبة والحنان، وكان يقرأهذا الاية الشريفة (الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله)، وحين سمع الفضيل هذه الاية، و طرقت سمعه في هدوء الليل وصمته، سرعان ما انقلب رأساً على عقب، وتحول الى انسان آخر، واصبح من الافراد المشهورين بالفضيلة والمعرفة.

وامثال هذه النماذج كثيرة في تاريخ الاسلام، هولاء الذين انكشف لهم الواقع السئ الذي يعيشونه، وعادوا للصراط المستقيم بلاخوف من القانون وعقوباته، بل رجعوا للصواب نتيجة تأثير المنهج التربوي لهذا الدين الحق، الذي يكافح المعصية بشدة، وبمختلف السبل، فالاسلام قبل ان يتوسل بقانونه الجزائي لردع الناس عن المعاصي، فهناك تعليماته التربوية الوسيعة التي لها التأثير الكبير في ردعهم عن المعاصي، وتنفر المجتمع بصورة عامة منها.

اذن فلوعاش الانسان في ظلال الاسلام، وفي احضان هذه التعاليم التربوية الرائدة، التي توجه البشرية وتدفعهم بقوة الى الهداية، و التربية الصحيحة، ولكن لم تؤثر في مثل هذا الفرد، كل هذه الاساليب التربوية،

التي قررها الاسلام لمحاربة المعصية، واقتلاعها من المجتمع، بل انه يظل سادراً في غفوته، غارقاً في المعاصي، الايستحق، ذلك الجزاء الشديد والعقوبات الصارمة.

اذن فلابد من ملاحظة التعاليم التربوية الاسلامية، وان لانكتفي بالنظر الى قوانينه الجزائية فحسب.

ولاجل اقتلاع جذور المعصية من المجتمع الاسلامي، يستخدم الاسلام اسلوبين

فالاسلوب الاول الذي يستخدمه الاسلام لمحاربة المعصية هوالاسلوب التربوي.

واما الا سلوب الثاني: وهوالاشد، هوالقانون الجزائي، والاسلام هنا يستعمل الشدة والعنف الى الحد الذي يجيزه العقل و المنطق، ولكن يجب ان لايغيب عن بالنا ان هذه الشده والقسوة تستوجبها خطورة الذنب بطبيعته،اذان الاسلام لايستهدف من قانونه الجزائي الا مكافحة المعصية والانحراف، فليس هو، كالمبادئ الحديثة، التي لاتحارب المعاصي والموبقات، بل توافق عليها، مما ادىٰ ذلك الى دمار المجتمعات الحديثة، وسقوطها، ان الاسلام حين يأمر بضرب شارب الخمر ثمانين سوطاً، فمن اجل ان يرتدع المجتمع عن شرب الخمر، وليتخلص من الامراض الكثيرة التي تسببها الخمرة.

والعجيب، ان العالم الحديث يرىٰ في الخمر سماً مهلكاً و خطراً جسيماً للدماغ والدم والقلب والاعصاب وغيرها من اعضاء البدن واجهزته، بل يؤثر في سلالة الانسان ايضاً، ومع معرفته لهذا الآثار السيئة، لما ذا يداري شارب الخمر، فان هذا الموقف يدفعه اكثر الى شرب الخمر، واذا كانت الحكومات العالمية ترغب حقاً في قطع جذور السرقة، اذن فلماذا تتعامل مع اللصوص والسرقه هذا المعاملة المتصفة با لمرونة،اذا كانت ترغب حقاً بالقضاء على الفحشاء، والتجاوز على اعراض الناس فلماذا ترأف قوانينها بالمنحرفين

والمتجاوزين على الاعراض.

اجل ان نتيجة هذا الرياء والنفاق، والتظاهر بالرأفة والشفقة، في عالمنا اليوم، هو ارتفاع نسبة الجريمة، وتزايد حجم الجرائم، والقتل والسرقة، في العالم كله، فلابد ان نعترف بان القوانين الجزائية ليس فقط، لم تتمكن من ان تقتلع جذور هذه الجرائم، بل انها قد امضتها واعترفت بها عملياً، و حرضت على اشاعتها، فهي كذلك الطبيب الذي يحقن الجريح مسكناً، مع انه يتمكن من معالجته، ومداواة جرحه.

اما الاسلام فهو على العكس من هذه النظرة السائدة اليوم، يستهدف جديا القضاء على المعاصي والجرائم، و يحاول بمختلف الأساليب ان يقتلع جذورها من المجتمع، وانما شرع قانونا جزائياً مشدداً، لانه يرغب جدياً في ازالة السرقة ومحوها، ليسود الامن المالي في المجتمع، و من هنا امر بقطع اصابع السارق، ان الاسلام يخالف التجاوز على اعراض الاخرين، لذلك امر بضرب الزاني مئة سوط، حتى لايعود مرة اخرى للزنا، و حتى يكون عبرة للاخرين ليرتدعوا عن هذا العمل، والاسلام يعتبر الخمر سماً مهلكاً للنسل، ولسلامة المجتمع، و لذلك امر بضارب شارب الخمر ثمانين سوطاً، حتى لايتكرر مثل هذا العمل في ذلك المجتمع، وحتى تشيع فيه السعادة.

هل تصلح هذه القوانين للتطبيق في عصرنا؟:

و يثور هذا السؤال، و ذلك لان القوانين الجزائية الاسلامية و ان كانت شديدة وصارمة، لكنها الوسيلة الوحيدة لاقتلاع جذور المعاصي، واثرها سريع و حاسم في هذا المجال، ولكن ممايؤسف له ان العالم اليوم، يعتبرها قاسية وحشية، ولا تقبل التطبيق في عصرنا.

وجوابنا على هذا الاعتراض: اننا نعجب كثيراً لمثل هذا العالم الذي يشاهد نصب عينيه، يومياً، المئات من عمليات القتل، والضرب بالسكاكين، وقطع الاعضاء، والتعدي على النواميس والاعراض، والمئات من الجرائم الاخرى، التي تحدث نتيجة السرقة، والتجاوز على اموال الآخرين، ولايراها وحشيه قاسية، ولكن قطع اربعة اصابع لاجل اقتلاع جذور السرقة، والحدمن الجرائم الكثيرة الناشئه من السرقة، نلاحظ انه يعتبر هذا الجزاء عملاً وحشيا، ولايقبل التطبيق.

ونأسف ايضاً لهذا العالم، الذي ينظر نظرة اللامبالاة، للضرب بالسكاكين، و قتل البشر، والتجاوز على الاعراض، والعربدة، والصخب، وسلب الامن العالم، الناتجة كلها من شرب الخمر، ولكن حين يضرب شارب الخمر ثمانين سوطاً، من اجل ان تقتلع جذور هذا الفساد الاجتماعي، يعتبر هذا الجزاء عملاً وحشيا ولايقبل التنفيذ.

عالم المتناقضات:

اجل، ان عالمنا حافل بالاضداد والمتناقضات، فهو يظهر من ناحية، بمظهر العطوف المشفق، ولايرضى بقطع اربعة اصابع، ولكن هذا الغرب العطوف نفسه، قداستعمر خـــلال سنين طويلة، الملايين من البشر المستضعفين، والامم الصغيرة، ونهب، ماشاء، من ثرواتها وخيراتها التي تفضل بها الله عليها، وجعلها تعيش في قبضة الجوع والفقر والمرض، ان اوربا وامريكا، العطوفة المشفقة، التي ترى في ضرب ثمانين اومئة، سوط، عملا وحشيا، ولايقبل التطبيق، قدقتلت بوحشية، مليون جزائري، ولم يكن ذنبهم الا المطالبة بحريتهم واستقلالهم، و كانت لها من الجرائم التي يندى لهاالجبين، في الكونغو، وفيتنام ونقاط اخرى، من آسيا وافريقا، قد مارست فيها ابشع الجرائم، وشنت حروب الابادة الجماعية، من اجل استعمارها.

وامريكا هذه البلاد التي لا ترضى بقطع اربعة اصابع اوتشمئز من ضرب السوط، هي بنفسها قد القت القنبلة الذريه على هيروشيما و ناجازاكي، وقتلت ماينا هزالمئة الف من الابرياء، وضربت الكثير من البيوت والمصانع، هذا هو عالمنا اليوم، الحافل بالمتناقضات.

وهناك الكثير من الاعمال والجرائم الوحشية، التي نتجت من عدم تطبيق القوانين الجزائية الاسلامية، التي شرعت لمكافحة الجريمة و نطالع بعض هذه الجرائم يومياً، في الصحف، اونسمعها من اجهزة الاعلام، و يضيق المجال لوتعرضنا لذكرها.

سؤال:

لماذا تزوج النبي (ص) زوجات متعددة، وهل كان الدافع لذلك هوالعامل الجنسي، اوهناك اسباب اخرى؟

الجواب:

ان بعض المبشرين العملاء، لاجل ان يشوهوا سمعة النبي (ص) ومكانته المقدسة، قد نشروا هذه التهمة الخبيثة، وان الدافع الذي حفرالنبي (ص) على التزوج بزوجات متعددة هوالدافع الجنسي، ولكنها تهمة وافتراء، كالكثير من افتراءاتهم واضاليلهم، فان النبي (ص) وان كان قد تزوج زوجات متعددة، ولكن الشواهد المسلمة دلت على ان دافعه لم يكن هوالدافع الجنسي، بل لاجل الاهداف الاسلامية العليا.

فالنبي (ص) قد قضى افضل ادوار حياته، وربيع عمره، الى ان اصبح عمره خمسة وعشرين عاما، عاش هذه الفترة في المحيط الفاسد للجزيرة العربية، بلازوجة، بشهادة التاريخ، ولم يلاحظ عليه اي انحراف عن الفضيلة، والنبي (ص) ليس فقط، لم يرتكب المعصية، ولم يستسلم للشهوة الجنسية، بل انه كان معروفاً بالامانة والعفة والفضيلة، فانه (ص) لوكان قد اقترف اي انحراف جنسي، قبل البعثة، لكان ذلك ورقة رابحة بيد اعداء الاسلام، حيث يتخذونها وسيلة للتشهير به،وتدنيس حركته المقدسة، ولم يظهر من اعداء الاسلام آنذاك اي قول يمس بفضيلته وعفته مع حقدهم الهائل عليه.

اذن فهذا الرجل العظيم الذي عاش اكثر فترات العمر التهابا بلازوجة، وكان معروفاً بالعفة والامانة، في ذلك المحيط الفاسد الحافل بالمغريات ومحفزات المعصية، فهل يمكن، بعد ذلك ان نقول بان الدافع على زواجه المتعدد هو الدافع الجنسي.

الظروف الخاصة لزواجه المتعدد:

الظروف الخاصة لزواج النبي (ص) بكل واحدة من زوجاته، بنفسها، دليل على ان هذا التعدد لم يكن سببه الجنس، اذ لوكان هدفه الاشباع الجنسي، لكان يختار الفتيات الجميلات، ولايصعب عليه ذلك، لما كان يمتاز به من الشخصية الجذابة، والمظهر الحسن، والجميلات هي التي تشبع غريزة الرجل، لاكثرة الزوجات، اللاتي كن جميعا، كبيرات في السن، الاعائشة، وهذا افضل دليل، على ان دافعه على الزواج المتعدد هو الاهداف الاسلامية السامية.

والان نتعرض بصورة اجمالية الى الظروف الخاصة لزواجه بكل واحدة من زوجاته:

١ــ الزواج الاول: زواجه مع خديجة، فكان عمرها حين تزوجها في الاربعين، وعمره (ص) في الخامسة والعشرين، ولم يتزوج معا زوجة حتى توفيت رضوان الله عليها، وكان النبي (ص) في الخمسين من عمره الشريف، ومن هنا يظهر ان دافعه على هذا الزواج، لم يكن الميل الجنسي بل بسبب وفائها والفضائل التي تمتازبها، وقد دل المستقبل على الدافع الحقيقي لهذا الزواج. فانها كانت اول امرأة اسلمت، وقد بذلت اموالها في سبيل الاسلام، وقد ضحت بالغالي والنفيس في هذا السبيل، ودافعت عن النبي (ص) ورسالته باموالها و بنفسها في الكثير من المواقف.

٢ــ الزواج الثاني: مع (سودة بنت زمعة بن قيس) وقد قتل زوجها (سكران بن عمرو بن عبد شمس) في احدى الحروب، واختارت الاسلام في بدايات البعثة، وطردت من قومها بسبب اسلامها، وفرض عليها، اما ان تترك الاسلام و بذلك يمكنها العودة الى عشيرتها، اوانها ستبقى في محنتها والحالة

التعيسة التي تعيشها. وتزوجها النبى (ص) لاجل انقاذها من محنتها، اولاً، ولاجل استمالة قبيلتها للاسلام ثانياً.

٣ــ الزواج الثالث: (مع عائشة) فانه قد تزوجها في مكة، وعمرها سبع سنوات، ولكن لم يدخل بها الا في المدينة، وعمرها تسع سنوات، وعائشة وان كانت بكراً، ولكن ملاحظة زواجه (ص) مع غيرها، والظروف التي تزوج بها، تبين ان الدافع على زواجه هذا هواستمالة قبيلتها للاسلام، وتوثيق العلاقات مع قبيلتها ولاهداف اخرى فانه لوكان الدافع هو الرغبة الجنسية، لم يكن النبي (ص) يكرر امامها اسم خديجه، ووفاءها، وتضحيتها، كما ينقل التاريخ ذلك.

٤ــ الزواج الرابع: مع (حفصة بنت عمر)، وزوجها الاول كان (خنيس بن حذاقه) توفى في المدينة، وطلب عمر من عثمان ان يتزوجها، فرفض، فشكاه عمر للنبي (ص)، ولاجل ذلك تزوجها، وقال مامضمونه، سيتزوج ابنتك من هو خير من عثمان، فهل يمكن القول بان مثل هذا الزواج كان دافعه الجنس؟ بل ان الدافع هو توطيد العلاقات مع عمر، واستمالة قبيلته للاسلام.

٥ــ الزواج الخامس: مع (زينب بنت خزيمة بن الحارث) وكان زوجها الاول (طفيل بن حارث بن عبدالمطلب). وقد طلقها، وتزوجها بعد ذلك اخوه (عبيدة)، واستشهد عبيدة في بدر، وتزوجها النبي (ص) لانقاذها من المحنة التي تعيشها بعد ان فقدت زوجين، لينهي بذلك عذابها وآلامها.

فهل يمكن القول بان مثل هذا الزواج كان دافعه اشباع الميول الجنسية؟.

٦ــ الزواج السادس: (مع ام سلمة)، وكان زوجها الاول (عبدالله بن عبدالاسد المخزومي)، وقد سافرت مع زوجها الى الحبشة، وبعد

رجوعها، هاجرا للمدينة، وجرح زوجها في احد، وتوفى متأثرا بجراحه، وقد تألمت كثيراً الوفاة زوجها، ولاجل رأفة النبي (ص) بهذه المرأة التي هاجرت الهجرتين، والتي تعاني الوحدة والعذاب لفقدان زوجها، تزوجها (ص) بالرغم من انها كانت كبيرة السن.

٧ــ الزواج السابع: (مع زينب بنت جحش)، وكان زوجها الاول (زيدبن حارثة)، ولكن اصالة اسرتها، ومكانتها، لم تسمح لها ان تعيش بكل وئام وسعادة مع زيد، الذي كان عبداً للنبي (ص) واطلقه، وتبناه ابناً له، ولذلك طلقها زيد بعد اصرار النبي (ص) على عدم طلاقها. ولكن لم ينفع اصراره، وتزوجها النبي (ص) بعد ذلك بامر من الله تعالى، حتى يشجب عمليا، الرأي الشائع آنذاك ، بان الرجل لايتمكن ان يتزوج زوجة ابنه الذي يتبناه،و يصرح بهذا المعنى القرآن الكريم، فانه لم يكن يكفي القول في مواجهة هذه العادة الجاهلية الراسخة، بل لابد من العمل، واذا كان الدافع لزواجه بها هو جمالها، لكان قد تزوجها قبل زيد، بالاضافة الى ان الاية الشريفة تصرح بان الحافز على زواجه بها، لم يكن الا الامر الالهي ليطبق النبي (ص) بنفسه التشريع الالهي المعارض للعادة الشائعة آنذاك .

٨ــ الزواج الثامن: (مع جويرية بنت الحارث) وكان زوجها الاول ابن عمها (ذوالشعرين)، وقتل في معركة مريسيع، وتزوجها النبي (ص) ليزيح غمها وتالمها على وحدتها وافتقادها لزوجها، فالدافع على زواجه هذا هوالرأفة بها لا الميول الجنسية.

٩ــ الزواج التاسع: مع (رملة بنت ابي سفيان) وكان زوجها (عبدالله بن جحش الاسدي) وقد اسلما في بداية البعثة، وهاجرا للحبشة، وهناك عاد زوجها للمسيحية، ومات فيها، وبقيت رملة، وحدها في الحبشة، ولم يقبلها قومها لانها مسلمة، وارسل النبي (ص) رسالة للنجاشي ليبعثها، وتزوجها النبي (ص) رأفة بها، اذن فالدافع على زواجه بها هو الرأفة والشفقة.

١٠ــ الزواج العاشر: (مع صفية بنت حيي بن اخطب): وكانت يهودية، وابوهامن رؤساء قبيلة بني النضير، وكان زوجها السابق (سلام بن مشكم) وقد فارقته، وتزوجت (كنانة بن الربيع) وكان يهوديا، وقتل في خيبر، واسرت صفية، وتزوجها النبي (ص) بعد ان اطلقها، وكان يعطف عليها كثيراً، وكان يهدف من زواجه بها امرين:

١ــ انها كانت بنت زعيم عشيرة، وعانت ذل الاسر، وقتل زوجها، واسلمت، ورأفة بها، وانتشالها من واقعها المؤلم، تزوجها اعظم رجل.

٢ــ انه قد علّم المسلمين بذلك اطلاق الجواري والاماء وتحريرهن.

١١ــ الزواج الحاد يعشر: (مع ميمونة بنت الحارث) وكان لها قبل البعثة زوجان، وبعد وفاة زوجها الثاني، تزوجها النبي (ص) حتى يزيل احساسها بالوحدة، بعد ان فقدت زوجين، فان الزواج مع امرأة، كان لها زوجان، وخصوصاً بالنسبة للنبي (ص) يدل بوضوح على ان الدافع لم يكن الا الرافة بها.

حكاية زيد واعتراضات المبشرين:

كان زيد عبداً للنبي (ص) وقد اطلقه، وتبناه ابناً له، وكان (ص) يحبه كثيراً، وزوجه بنت عمه (زينب بنت جحش الاسدي)، ويذكر علي بن ابراهيم في تفسيره:

ان النبي (ص) كان يحب زيداً حباً شديداً، واذا غاب عنه يوماً ما، فانه كان يسأل عنه، ليستطلع خبره، وقد ذهب يوماً الى بيته، ليسأل عنه، ولكن لم يجده في بيته، وحين وقع نظره على زينب قال: (سبحان الله خالق النور، تبارك الله احسن الخالقين)، وخرج، وحين عاد زيد لبيته، روت له زينب القصة، والكلمات التي تفوه بها النبي (ص)، وظن زيد ان النبي (ص) قد تعلق قلبه بها، فصمم على طلاقها، حتى يتزوجها النبي (ص)، وذهب الى النبي (ص) واصر على طلاقها، فرفض (ص)، ولكنه اصر كثيرا، فطلقها، وبعد انتهاء عدتها، تزوجها النبي (ص).

وقد ردد المبشرون هذه الحكاية، كثيراً، وان النبي (ص) قد احبها، لذلك طلقها زيد، ليتزوجها النبي (ص)، مع ان الامر ليس كذلك.

وللتعرف على حقيقة الامر، نقرأ الاية الشريفة التي تدور حول هذه الحكاية (واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك، واتق الله، وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا كها كي لايكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امراً مفعولاً).

وهنا تبرز عدة اسئلة:

١ــ لماذا طلق زيد زينب، هل كان ذلك لاجل تعلق النبي (ص) بها؟

من جملة (فلما قضىٰ زيد منها وطراً) يتضح ان طلاقه ليس لاجل ذلك ، بل لان زيد قد احس بانه لايرغب في زينب، ولايريد الحياة معها، و معنىٰ عدم احتياج الشخص لزوجته انه لايتالم لمفارقتها، وهذا مدلول الجملة (فلما قضىٰ زيدمنها وطراً) والشاهد عليه ذيل الاية الشريفة (اذا قضوا منهن وطراً)، فانها تدل على طلاق الابن المتبنى لزوجته، لولم يحتج لها، اولاجل عدم الرغبة فيها، اولبعض العوامل الشخصية الاخرىٰ لالاجل تعلق الاب بزوجه الابن المبتنى، اذن فالجملة (اذا قضوا منهن وطراً) يستنتج منها، بكل وضوح، ان الدافع على طلاق زيد لزينب، هوعدم احتياجه لزينب، وان الطلاق قدتم برغبته الشخصية،فحسب،وليس الدافع هو اعتقاده بتعلق النبي(ص) بزينب.

والتاريخ يؤكد هذا الحقيقة، كما ذكر ذلك بعض الكتاب المسلمين، (فان زينب كانت ترىٰ نفسها بانها من بني هاشم، وان اسرتها من الاسرالاصيلة في العرب، بينما كان زيد عبداً للنبي(ص)، لذلك كانت تعامله بحدة وخشونة، و كان يتالم زيد كثيراً من هذه الحياة الشاقة، المتعبة، ولهذا السبب صمم على طلاقه، وكان اصراره من الشدة بحيث لم يؤثر فيه ردع النبي (ص) عن هذا الامر)[1]

٢ــ هل ان زواج النبي (ص) كان لاجل تعلقه بها؟

يستفاد من الآية الشريفة ان زواجه بها كان للامر الالهي لقوله تعالى (زوجناكها) هذا اولاً، و ثانياً: اراد ان يبين للناس بانه يجوز الزواج بزوجة الولد المتبنى، كما يصرح بذلك القران الكريم نفسه (زوجنا كها لكي لايكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم) والعمل اسلوب اكثر تأثيراً من القول، وهذه العادة الجاهليه كانت راسخة، في ذلك المجتمع، بحيث لايجدي القول

(١)ــ طريق محمد ص ٢٨٢، باللغة الفارسية.

وحده في ازالتها، بل لابد من العمل.

ولاشك بانه لو كان هناك عامل آخر لزواجه(ص) لما اعتبر القران الكريم هذا الامر هو الدافع الوحيد على الزواج.

٣ــ ماهوالامر الذي اخفاه النبي (ص)، وقدابداه الله تعالى؟

لم يكن ذلك الامر هوهواه، وتعلقه بها، والالوكان كذلك ، لذكره الله تعالى و بينه،بناءعلى وعده فينفس الاية(الله مبديه)،مع انه لا توجد في الاية الشر يفة آية اشارة اليه، وهذا دليل على ان الامر هذا ليس تعلقه بها، بل هو امر آخر، تشيراليه رواية الامام على بن الحسين(ع). (ففي المجمع في قوله تعالى (وتخفي فينفسك مالله مبديه) قيل: ان الذي اخفاه في نفسه هو ان الله سبحانه اعلمه انهاستكون من ازواجه، وان زيداً سيطلقها،فلما جاء زيد، وقال له: اريد ان اطلق زينب، قال له: امسك عليك زوجك فقال سبحانه لم قلت، امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك ،وروي ذلك عن علي بن الحسين(ع))(١).

٤ــ هل انّب الله تعالى نبيه (ص) في هذه الآية الشر يفة؟.

كلا، لم يؤنبه، اذ ان النبي (ص) انما اخفىٰ هذا الامر الالهي عن زيد، لاجل حياته، فانه (ص) مع علمه بان زينب ستكون زوجته في المستقبل، ومع ذلك ،ولحياته، اصرعلى زيد ان لايطلق زوجته، والقرآن الكريم، يصرح في آية اخرىٰ، بمايتحمله النبي(ص) من اجل حياته، و ينصح المسلمين ان لايستغلوا هذه الصفة التي يتصف بها النبي (ص) (اذا طعمتم فانتشروا ولامستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لايستحي من الحق)، فالنبي(ص) في حكاية زيد، كان يخشى من كلام

(١)ــ مجمع البيان، ص ٨، ص ٣٦٠.

الناس، واحاديثهم، بعد ذلك ، فيما لو اطلعهم على جلية الامر، وان الله قداخبره بان زينب ستكون زوجة له، لذلك ضبط نفسه، وكتم الامر، ولم يخبرز يداً بذلك ،واصرعليه ان لايطلق زوجته، ولكن الله يقول (وتخشى الناس والله احق ان تخشاه) وهذه الآية كاية (ان ذلكم كان يؤذي البني فيستحيي) اي لاموجب لمثل هذا الحياء.

وهذا هوالتفسير الذي تفيده هذه الاية الشريفة، ونقول لهولاء المستشرقين والمبشرين، ان زينب كانت في بيت النبي(ص) منذ صغرها، و كان يمكن للنبي(ص) ان يتزوج بها في اي وقت شاء، وكان يلاحظ جمالها، وهي تكبر وتشب، في بيته، ومع ذلك لم يتزوجها، ولعلها كانت اكثرجمالا قبل الزواج.

سؤال:

يرىٰ الاسلام بان سن الزواج المحدده للفتيات هوتسع سنوات، وللفتيان، ست عشر سنة، مع ان البنت في هذه السن كما انها لا تتمكن من تحمل المسؤوليه الزوجيه ووظائفها، وكذلك هي غير ناضجه جنسيا، الايشكل هذا الحكم نقطة ضعف في التشريع الاسلامي؟

الجواب:

من الواضح ان بعض الفتيات في سن التاسعه، وبعض الفتيان في سن السادسة عشر، وخصوصاً في المناطق الحارة، يبلغون مرحلة النضج الجنسي، و يكونون مستعدين جنسيا للزواج، ولاشك ان البعض منهم، في مثل هذه السن، لايصل لمرحلة النضج الجنسي، بل ربما يسبب الزواج لهم الكثير من المشاكل والمتاعب.

فاذا كانت الشريعة الاسلاميه ترىٰ (وجوب) الزواج في مثل هذه السن، لكان هذا التشريع هوالسبب للمشاكل التي يقتضيها هذا الزواج، بالنسبة للفئة الثانيه، ولكن الاسلام يرىٰ الزواج في هذا السن (جائزاً) فحسب، اذن فالفئة الاولى، اي اولئك الذين لم يبلغوا مرحلة النضج الجنسي، في هذه السن، يتمكنون من الزواج وفق هذا التشريع، واما الفئة الثانية، اي اولئك الذين لم يبلغوا في هذه السن، لمرحلة الرشد الجنسي، فيمكن لهم ان لايتزوجوا، و كل ذلك من اجل ارضاء الميول الجنسية، وعدم السقوط في المعاصي والانحرافات نتيجة عدم اشباعها.

الشريعة الاسلامية غير محدودة: الاسلام دين دائم، وشامل لكل زمان و مكان، و مثل هذا الدين يلزم ان يشتمل علىٰ التعاليم التي تقبل التطبيق في كل زمان، وفي كل منطقة، ولا تعيق تطبيقه الاختلافات

الجغرافيه، والطبيعية، فالفتاة التي تبلغ نضجها ورشدها في السنة التاسعة من عمرها، والفتىٰ الذي يبلغ نضجه في سن السادسة عشر، فان ابواب الزواج مفتوحة لهم، بمقتضىٰ هذا القانون، واما الذي لم يبلغ النضج والرشد في هذه السن، فلايجبر على الزواج، وهذا هو معنىٰ (القانون الطبيعى العلمي) الذي يقبل التطبيق في كل مناطق العالم، دون ان تنشأ منه الآثار السيئة.

القوانين الحديثة و بلوغ الفتيان والفتيات: السن التي عينتها وحددتها القوانين الحديثة، لبلوغ الفتاة والفتىٰ، لايتلائم مع النظام الطبيعي والتكويني فانها تعتبر سن البلوغ للفتاة اي سن الزواج هوالخامسة عشر، وللفتيان، هوالثامنه عشر، ومن هنا كانت سببا للكثير من المشاكل والمتاعب التي يتعرض لها الفتيان، والفتيات، الذين يستيقظ فيهم بركان الجنس قبل هذه السن، وخصوصاً في المناطق الحاره، فيتحيرون، كيف يوافقون، بين القوانين الدولية المخالفه للطبيعة البشرية، و بين ميولهم ورغباتهم الطبيعية المشروعة، لذلك يصاب الاولاد في سن (١٦-١٧) بامراض السفلس، وغيره من الامراض الجنسية، والتناسلية، نتيجة العلاقات الجنسية غيرالمشروعة، بينما لا تعتبرهم القوانين الحديثة قد بلغوا سن الزواج، وهكذا الفتيات في سن (١٣،١٤)، حيث يصبح الكثير منهن حوامل، لتلك العلاقات غيرالمشروعة، ويجهضن انفسهن، خوفاً من العار، مع ان القوانين المعاصره لاتعتبرهن بالغات لسن الزواج، هذا هوالتناقض بين النظام التكويني الطبيعي والقوانين الحديثة.

سؤال:

يقولون ان الاسلام لم يجبر البشر على انتخاب الدين، اذن فلماذا اعلن الحرب على الكفار، فهل كان ذلك لدفعهم بالسيف لاعتناق الاسلام؟.

الجواب:

الحرية في اختيار المبدء، بمعناها الصحيح، من التعليمات التي نادىٰ بها الاسلام، ولكن بعد اربعة عشرقرنا من بعثة الاسلام، ظهرت لائحة حقوق الانسان، فاقرت في المادة(١٨): (الحرية في اختيار المبدء)، اذن فيمتاز الاسلام— اولاً— انه قد سبقهم بكثير في الاقرار بهذا المبدء، وثانياً: ان هذه اللائحة تصرح بالحرية في اختيار المبدء بمعناها غيرالصحيح.

المعنىٰ الصحيح للحرية في المبدء: ان يبحث الانسان بحثاً طويلاً عميقاً حول مختلف الاديان والمبادئ، واذا توصل للمبدء الحق، فعليه اختياره والالتزام به، بينما المفهوم الحديث لهذه الحرية لاتعني الا التبعية والتقليد الاعمىٰ، لدين الاسرة، اوالعشيرة، اوالبلد الذي يعيش فيه الفرد،فاذا ولد احد في بيت مسيحي، وقبل ان يصل لسن الرشد اوالبلوغ، وقبل ان يبحث حول سائر المبادئ والاديان، يختاردين الاسرة، وهذا قداطلق عليه خطأً (الحرية فى اختيار المبدء).

واما الاسلام فهو يدعو لهذه الفكرة بمعناها الصحيح، فيفرض على كل فرد ان يبحث في البداية حول اصول العقائد، ليكون ايمانه بها وفق المنطق والدليل، ولايرضىٰ للمسلم ان يقلد اباه اوامه، في هذا المجال، وقبل التفكير والبحث في اصول العقائد، ولايعتبر مثل هذا الفرد الذي قلدوالديه، واختار الاسلام دون رو ية ودون دراسة، مسلماً واقعيا.

القرآن وحرية المبادئ:

يقول القران الكريم (لااكراه في الدين قدتبين الرشد من الغي) اي ان الدين الاسلامي لايجبر الناس على اختياره، والطبري، في تفسيره مجمع البيان، يذكر هذا المعنى، من الاحتمالات التي تذكر لتفسير الاية فيقول (خامسها: ان المراد ليس في الدين اكراه من الله، ولكن العبد مخير فيه لان ماهو دين في الحقيقة هو من افعال القلوب اذا فعل لوجه وجوبه، فاما مايكره من اظهار الشهادتين فليس بدين حقيقة).

ثم يتعرض لشأن نزولها بما يتلاءم وهذا المعنى (قيل نزلت الاية في رجل من الانصار كان له غلام اسود يقال له صبيح و كان يكرهه على الاسلام، عن مجاهد، وقيل: نزلت في رجل من الانصار يدعى ابا الحصين وكان له ابنان فقدم تجار الشام الى المدينه يحملون الزيت فلما ارادوا الرجوع من المدينة اتاهم ابنا ابي الحصين فدعوهما الى النصرانية فتنصرا ومضيا الى الشام فاخبر ابوالحصين رسول الله (ص) فانزل الله تعالى (لااكراه في الدين).

و من التامل في معنى الآية الشريفة، وشأن نزولها، يتضح لنا كيف يدعو القران الكريم باصرار لهذه الفكرة، ولهذا المفهوم الصحيح لحرية اختيار المبدء، وكيف طبقها عملياً.

وهنا يبرزسؤال: ان الاسلام يرى نفسه، انه الدين الحق، وبقية المبادئ باطلة، وكل من اختار غيره فلن يقبل منه، اذن فكيف يدعولحرية انتخاب المبدء، مع ان الانسان قديختار بعد البحث والفحص غيرالاسلام؟.

والجواب: ماذكرناه سابقاً، وان الاسلام يدعو لحرية اختيار الدين بمعناها الصحيح، اي للانسان الحق، وفي حدود قدراته الفكرية ان يبحث حول جميع الاديان السماوية، بحثاً سليماً، وتحقيقاً كافيا، و يسير في دراساته

بخطوات استدلالية و منطقية، ثم بعد ذلك ، ينتخب الدين الذي يتوصل اليه بعد تحقيقاته، و من الواضح ان هذا الباحث لودرس المبادئ كلها دراسة صحيحة، وحقق حولها التحقيق السليم، فانه سوف يختار الاسلام لامحالة، اذ ان كل منصف، اطلع على القوانين العلمية، والنظم الاجتماعية، التي يمتلكها الاسلام، ولو كانت معرفته ضئيلة في هذا المجال، فانه سوف يعترف بان الاسلام هوالدين السماوي الوحيد، الذي تطابق قوانينه وتعاليمه الحقة، الموازين العلمية، ولايحتاج في ذلك ، لدراسات طويلة، بل تكفي الدراسة الاجمالية في مقارنة الاسلام بغيره من المبادئ والاديان السماوية، وهذا وحده يدفعه لاختياره الاسلام.

اذن، فدعوة الاسلام لحرية اختيار المبدأ، بمعناها الصحيح، ناشئة، من ايمانه العميق،واطمئنانه، بانه هوالمبدأ الذي سيختاره الانسان بعدالبحث والتحقيق في مختلف الاديان والمبادئ، ولاطمئنانه بهذه النتيجة، دعالاسلام، بقوة، الى هذا المفهوم الصحيح، لحرية اختيار المبدأ.

اذن فدعوة الاسلام هذه، كما انها تؤدي الى ان ينكشف بطلان المبادئ الاخرى، فكذلك تحفز الباحث وتدفعه لاختيار الاسلام.

حروب المسلمين:

وهنايبرز سؤال آخر: اذا كان الاسلام يلتزم بحرية اختيار الدين، وانها حق مشروع لكل فرد، اذن فماذا تعني حروب المسلمين و معاركهم مع غيرهم؟.

و يظهر الجواب من مراجعة التاريخ الاسلامي، حيث يتبين منه، ان الاسلام لم يستغل استيلاءه، حين سيطر على اي بلاد بالسيف، في اكراه اهل البلاد المحتلة على اعتناق الاسلام. بل التزم، حتى وهو في ذروة قوته، بهذه

الدعوة للحرية في اختيار المبدء، ولاجل ان نوضح هذه الفكرة، يلزم عينا التعرف على التعاليم الاسلامية العسكرية اجمالاً:

حين يواجه الجيش الاسلامي غير المسلمين من اهل الكتاب، في الحرب، يعرض عليهم التعاليم والقوانين الاسلامية، و يعرفهم عليها. فان اعترفوا، واقروابالاسلام دينا، فيكونون حينئذٍ كبقية المسلمين، لهم ماللبقية من الحقوق والمزايا، واما اذا امتنعوا عن قبول الاسلام، ففي هذه الحالة يفرض عليهم دفع الجزية وهي مال معين يدفع للحكومة الاسلامية، فاذا التزموا بدفعها، فسيرفع المسلمون السيف عنهم، فلايقاتلونهم، وكذلك سوف يدفعون عنهم و عن اراضيهم و بلادهم شرالاعداء، ولاهل الكتاب ايضاً الحرية في اجراء شعائرهم وممارساتهم الدينية، وان لم يدفعوا الجزية، فان المسلمين سيقاتلونهم(١).

و من هنا نعرف بان المسلمين لم يستغلوا قوتهم، ولم يستخدموا السيف والحروب في دعوة الآخرين للاسلام، فانه لوكان الامر كذلك ، لما اكتفوا بالجزيه، وهذا دليل حي، على ان الاسلام يحترم هذا القانون الالهي، وهوالدعوة لحرية اختيار المبدء، ولم يتجنبه حتى عند قدرته وسيطرته، فان المسلمين فى صورة اخذ الجزيه، تكون لهم السيطرة التامة عليهم فيمكنهم اجبارهم على اعتناق الاسلام، ولكنهم لم يفعلوا، بل منحوا لهم الحرية، في البقاء على دينهم.

شواهد تاريخية:

لاجل توضيح هذا البحث اكثر، نذكر شاهدين من التاريخ الاسلامي، في طريقة معاملة المسلمين لغيرهم:

١— حين عقد الصلح بين المسلمين وكفارمكه، كان من جملة

(١)— للتوسع اكثر يراجع كتاب المؤلف (حوار بين الشيخ والدكتور) وهو في اللغة الفارسية ومن الكتب الجديرة بالقراءة، وقد طبع اكثر من عشر طبعات.

بنودالصلح (ومن لحق محمداً واصحابه من قريش فان محمداً يرده عليهم، و من رجع من اصحابه الى قريش فلايردون اليه). اذ فتعهد النبي (ص) ان يعيد لمكة كل من يلتحق بالنبي (ص) من اهل مكة، و من هنا قال بعض المسلمين فليتعهد اهل مكة مثل هذا التعهد بان يعيدواللنبي (ص) كل من يخرج من المدينة و يلتحق بالمشركين من اهل مكة ولكن النبي(ص) رفض ذلك ونتابع الرواية (فقال المسلمون في ذلك ، فقال النبي (ص): من جاءهم منافابعده الله، و من جاءنامنهم رددناه اليهم فلوعلم الله الاسلام من قلبه جعل له مخرجاً)، مع انه (ص) كان يمكنه الاستفادة من قوته و قدرته، و مطالبة اهل مكة بالتعهد ايضاً، حفظاً لقوة المسلمين وكثرتهم.

٢— حين زحف المسلمون على مكة لفتحها، نتيجة عدم التزام الكفار ببنود الصلح، لم يواجهوا بمقاومة، الامن مجموعة صغيرة بقيادة (صفوان بن امية، وعكرمة بن ابي جهل) ولكن الهجوم الاول للمسلمين، قضى على هذا المقاومة، واراد القائدان الهرب من مكة، ولكن عمير بن وهب احد المسلمين، تشفع لصفوان لدى النبي (ص) ليرفع القتل عنه، وقبل النبي (ص) ذلك ، وعاد صفوان بعد سماعه الامان له، وجاء مع عمير للنبي (ص) ودعاه (ص) للاسلام، ولكن صفوان طلب من النبي (ص) ان يمهله لمدة شهر ين، ليدرس تعاليم الاسلام وقد امهله اربعة اشهر، وكانت للنبي (ص) القدرة التامة على صفوان، ولكنه لم يستغل هذه القدرة في اجباره على اعتناق الاسلام.

هدف المسلمين من الحروب:

اذن لماذا حارب المسلمون الكفار و ماذا كانوا يستهدفون وراء ذلك ؟

والجواب: ان المسلمين كانوا يهدفون نشرالتعاليم الاسلامية الحقة، بين الشعوب، لتكون في متناول ايديهم، دون ان يصدهم مانع من التعرف عليها،

ولايمكن ذلك الابواسطة الانتصار عليهم، والقضاء على القوى والحواجز التي تمنع من تعرف الشعوب على التعاليم الاسلامية الحية، فانهم وان اخذوا الجزية منهم، ولكن رغم ذلك ، منحوا لهم الحرية في انتخاب الدين، فان هذا الانتصار و الغلبة، تؤدي الى توطيد العلاقات والروابط بين المسلمين وغيرهم، و بذلك ترتفع الحواجز عن غيرالمسلمين التي تستر نورالدين الاسلامي عن اعين الشعوب، و بذلك يمكنهم الدخول في بلاد المسلمين، والالتقاء بهم، والتحدث معهم، في مختلف المسائل، والتعرف على تعاليم الاسلام، وهذه النتيجة وحدها تكفي، لان تميل هذه الامة المغلوبة للاسلام، بعد فترة قصيرة، وقد حدثت هذه الظاهرة كثيراً في التاريخ الاسلامي، فقد حدث كثيراً ان سيطرالمسلمون على امة كافرة، ولكن الامة المحتلة، رغبت بالاسلام، وانتمت اليه، نتيجة اختلاطها بالمسلمين.

سؤال:

اذا كان الله غيرمحدود، اذن فلماذا اعتبرموضعاً محدوداً، هوالكعبة، بيتا له، وامر جميع المسلمين بالتوجه اليه؟.

الجواب:

اننا نعتقد بان الله غيرمحدود، وليس له موضع معين، فهو محيط بكل الامكنة، ووجوده في كل مكان، وليس له جهة معينة، بحيث لايكون له وجود في غيرها، والقرآن الكريم يصرح بهذا الحقيقة (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوافثم وجه الله) فالكعبه وغيرالكعبة بالنسبه لله على السواء، وكل مكان تحت اراداته، ومخلوق له.

والامر بالتوجه للكعبة، لايعني وجوده في ذلك الموضع المقدس فحسب، بحيث لايوجد في غيره، بل ان الاسلام يستهدف من تشريع هذا الحكم، ان تتحقق الوحدة والانسجام بين المسلمين، في الشرق و الغرب، بحيث يتجه الجميع الى اتجاه واحد في عباداتهم، فكما ان المسلمين، في جميع اقطار العالم، لهم عبادة واحدة، وقراءة واحدة، وشعار واحد، ووظائف دينية واحدة، وكذلك لابد ان تكون لهم قبلة واحدة، ليكون اتجاههم واحداً، فلو تأمل الانسان قليلاً، في ذلك المسجد الواحد الذي يضم المئات بل الالوف من المصلين، لرأى من القبيح، ان يتجه كل فردمنهم في صلاته لاتجاه مخالف للاتجاه الذي يتجه اليه غيره، و مثل هذا الاختلاف في الاتجاه لتلك الامة التي تتخذ الوحدة شعاراً لها، لايتوافق مع مبادئها، والاسلام لولم يوحد القبلة، لاختلف المسلمون في الاتجاه حين الصلاة، والقرآن الكريم اشار لهذه الملاحظة: (وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره).

الاسلام والوحدة العالمية الشاملة:

من المشاريع التي يطمح لتحقيقها العالم المعاصر، حيث يعتقد بان الكثير من المشاكل سوف يعالجها تحقيق هذا المشروع الكبير. هوالسعي لايجاد حكومة عالمية واحدة، و يعتقد الكثير من المفكرين، في العصر الحديث، ان تعدد الحكومات هوالسبب في هذا الحروب والنزاعات الدولية، والحكومة العالمية الواحدة، والالتزام بقوانين موحدة، والاتجاه لاهداف وطموحات واحدة، هوالحل الوحيد للمصير الفاجع الذي تتجه اليه الحضارة الحديثة، ولكل المشاكل والمتاعب الحضارية، و من اجل ذلك يدعون الى لغة عالمية واحدة، حتىٰ تتقارب الشعوب اكثر فيما بينها، وقد وجدت منظمات في الشرق والغرب، تدعو لهذه الفكرة، ولكن الاسلام قد سبقهم في الدعوة لهذه الفكرة بمفهومها الصحيح منذقرون طويلة، فقد دعا بحق الى حكومة واحدة، يستظل تحت لوائها المقدس العالم كله، وقد اختار لاتباعه شعائر واحدة، وهدفاً واحداً، ولغة واحدة في تادية الوظائف الدينية، اليس من الضروري لهذه الامة التي تتخذ الوحدة شعاراً لها في مختلف المجالات، ان تكون لها قبلة واحدة، واتجاه واحد تتجه اليه في عباداتها ولعل ماذكرناه، هو فلسفة تشريع هذا الحكم، والحكمة الكامنه في ان يكون لله غير المحدود، موضع خاص، باسم الكعبة.

التفسير الخاطئ للوحدة:

و يلزم علينا ان نعرف بان الحكومة العالمية الموحدة التي يدعواليها الاسلام تختلف عن تلك الفكرة المسمومة التي دعا اليها في العصر الحديث بعض المستعمرين، وعملائهم،وقد ايد بعض الكتاب المسلمين هذه الفكرة

المنحرفة عن عمد او غير عمد.

ان الوحدة التي يدعواليها الاسلام هي ان يتخذ الجميع محوراً واحداً لهم، وقوانين واحدة، ودينا واحداً، هذا الدين الذي يستجيب لجميع مطالب و احتياجات البشر المادية والمعنوية، وهذا المبدأ الذي يطابق اكثر الموازين العلمية والعقلية دقة وعمقاً هوالاسلام، ان الاسلام يدعوبمختلف الاساليب، العالم كله الى الالتزام بمبدئه الحق، و يدعو الى تشكيل الحكومة العالمية الموحدة التي تستظل تحت لواء الاسلام، ومثل هذه الوحدة، هدف، منطقيِ ومعقول يطمح الاسلام لتحقيقه.

واما تلك الوحدة التي يدعواليها هولاء الكتاب، والمستمدة من تعاليم اسيادهم المستعمرين،هي دعوة غير معقولة،وغير قابلة للتطبيق، فانهم يدعون الى ازالة الاديان، والالتزام بالاهداف المشتركة التي تدعواليها جميع الاديان والمبادئ، مع التزام اتباع كل مبد ء، باصول مبدأه، ولكن كيف يمكن تحقيق الوحدة الحقيقية في الفكر، والهدف، بين الناس جميعهم، دون الالتزام بمبدأ صحيح يعتقد الجميع باصوله وفروعه، مع اختلاف الاديان في الفروع والاصول، وهل يمكن تحقيق الوحدة الحقيقية، والمنطقية بين الشعوب مع وجود بعض الاهداف المشتركة.

فان اتباع كل مبدأ، يرىٰ المشخصات والخصائص التي يمتاز بها مبدأهم،على حق، بينما مشخصات المبادئ الاخرىٰ علىٰ باطل، بحيث يندفعون لدعوة الآخرين الى الالتزام بخصائص مبدئهم وعلى تقدير تحقيق هذه الوحدة فى الاهداف المشتركة، فان الاختلاف الفكري والعقائدي بين الافراد، يؤدي الى ان تكون هذه الوحدة، مهزوزه، ومعتمده على اسس واهية، منخوره، سرعان ماتنهار، وتسقط، فهل يمكن علاج المشاكل البشرية الهائلة بمثل هذه الوحدة المنهارة؟.

ان الوحدة الفكرية والعقائدية. الحقيقية، والصحيحة، انما تكون عملية، ومثمرة، حين تدعوالبشر الى الاتجاه لهدف واحد، والالتزام بمبدأ منطقي واحد، بحيث يستحق قيادة البشرية في شتى المجالات.

ولا توجد هذه الوحدة الحقيقية الافي ظل الاسلام.

سؤال:

لماذا حرم الاسلام قراءة كتب الضلال على المسلمين، الايعني ذلك قمع الحرية الثقافية، وحرمانهم من بعض العلوم والثقافات؟

الجواب:

ان الكتب التي تؤدي قراءتها الى انحراف المسلمين، ليست حراماً على كل احد، بل على اولئك الذي ينحرفون و يضلون بقراءتها، واما العلماء والمثقفون المؤمنون، والذين يمتلكون ثقافة اسلامية واسعة، فربما كانت قراءتهم لهذه الكتب، (واجبة) في حقهم، لا انها(جائزة)، لانهم يمتلكون المؤهلات الثقافيه التي يتمكنون بها من مواجهة الافكار المنحرفة و مناقشتها.

اذن فالمنع من قراءة هذا الكتب، ليس لاجل حرمان هولاء الافراد من التعرف على الثقافات العالمية، والا لوكان الامر كذلك ، لما اجاز قراءتها، لاولئك العلماء والمثقفين الذين يتمكنون من مناقشتها، بل انه قد يلزم قراءتها احيانا.

فالاسلام يستهدف من هذا الحكم، حماية اولئك الذين لايملكون مناعة ثقافية، من الانحراف والضلال، فهو كالمهندس الكهربائي، الذي يصنع الة كهربائية، ثم يطالب غيرالمهندسين ان لايقتربوا منها، حتى لايصعقهم التيار الكهربائي، بينما يسمح للمهندسين في ذلك ، بل ربما يكون هذا الحكم بنفسه، محفزاً لهولاء الذين يفتقدون المؤهلات الثقافية والفكرية، على التكامل الثقافي، ويحثهم على التعرف على التعاليم الاسلامية اكثر، فلوتوافرت لديهم الثقافة الاسلامية الكافية، فحينئذ يجوز لهم مطالعة كتب الضلال، فحرمانهم من كتب الضلال يشعرهم بالنقص، تجاه الطبقة المثقفة، التي اجيزلها الاطلاع على كتب الضلال، وهذا الشعور يحفزهم على تطوير انفسهم ثقافياً.

سؤال:

يقولون بان ولد الزنا لايدخل الجنة مع انه يمكن ان يكون مؤمنا صالحاً، وهذا الحكم يخالف العدل الالهي، فان الابوين هما اللذان قد ارتكبا المعصية دون الولد؟.

الجواب:

لافرق بين ولد الزنا و غيره، في التكاليف والوظائف الدينية، فكما يلزم على غيرولد الزنا ممارسة التكاليف واجتناب المحرمات وكذلك يجب عليه ايضاً اجراؤها بلافرق، وكما ان الولد المشروع لوعمل بوظائفه، فسوف يثيبه الله على ذلك ،واذا عصاها فسيكون جزاؤه الجحيم، وهكذا الامر بالنسبه لولدالزنا، يقول الامام الصادق(ع) (ان ولد الزنا يستعمل ان عمل خيراً جزي به وان عمل شراً جزي به)(١)— فلا فرق بين ولد الزنا وغيره في يوم القيامة، فمايقال، بان ولد الزنا لايدخل الجنة، غيرصحيح.

ولكن الفارق بينهما، ان ولد الزنا اكثر استعداداً وارضية للانحراف، من غيره، فلولم يراقب نفسه بشدة، فسوف ينجرف للانحراف، فهو كالذي يولد من ابوين مصابين بالسل، يكون اكثر استعداداً لمرض السل من غيره، نتيجة عامل الوراثة، ولكن لوراقب نفسه بشدة، وبدقة، وعالجها، واتبع مقررات الوقاية، فلايصاب بهذا المرض، بل ربما يزول منه هذا الاستعداد للاصابة بالتدريج، وهكذا الامر في ولدالزنا.

وماورد من النصوص والروايات في ولد الزنا، وانه اكثر رغبة و ميلاً للمعصيةمن غيره، وانه لايبالي بالتكاليف، وامثالها، تدل على ماذكرناه. وهو وجود الاستعداد للانحراف، وانماذكرت هذه الاحاديث والنصوص لاجل ان

(١)— سفينة البحار ص ١، ص ٥٦٠.

يتعرف ولدالزنا على واقعه، وحتىٰ يراقب نفسة بشدة لئلا يخطأو يقع في الانحراف والوصفة التي يعطيها الاسلام لولدالزنا، كالوصفة التي يعطيها الطبيب للمتولد من ابو ين مسلولين، فان تحذير الطبيب المشدد، لاجل ان يشعر هذا الولد بواقعه السيئ، ولينقذ نفسه من آثار الاستعداد الذي خلقه العامل الوراثي.

وهنا يمكن ان تبرزعدة اسئلة:

١— لماذا يمتلك ولد الزنا الاستعداد للانحراف، مع ان الخطيئة قد اقترفها الابوان؟.

الجواب: :لاشك بان الابو ين بعملهما اللاقانوني، قد اوجدا هذا الانسان المنحرف، وغير الطبيعي، يقول الرسول (ص) (ما من ذنب اعظم عندالله تبارك وتعالى بعدالشرك من نطفة حرام وضعها امرء في رحم لاتحل له)(٢). و يقول الامام الصادق(ع) (ان اشد الناس عذابا يوم القيامة رجل اقرنطفته في رحم يحرم عليه)(٣) فالزاني بالاضافة لارتكابه المعصية قدسبب في وجود الاستعداد للمعصية في ولده، ولعلها معصية اكبر من الاولى، ولكن يجب ان نعلم، بان هذا الولدلايحاسب يوم القيامة علىٰ استعداده للزنا اولغيره من المعاصي مالم يقترف معصيه،وفرقه عن غيره، انه سوف يجهد نفسه اكثر، لدفعها لممارسة الوظائف الدينية، لئلايقع في الانحراف، بينما الشخص الذي ولدبصورة مشروعة، لايعيش هذه المعاناة المريرة، في اداء الوظائف، فالفرق بينهما، كالفرق بين شاب في العشرين وشيخ في الخمسين، في مواجهة الاغراء الجنسي، اذن فيعيش ولد الزنا حياة صعبة، في مواجهة المعاصي، وفي

---

(١)— مستدرك الوسائل كتاب النكاح.

(٢)— وسائل الشيعه، كتاب النكاح.

ممارسة التكاليف ولكن سيكون مقدار الثواب الذي يمنح له في الاخرة، على عمله، اكثر من ذلك المقدار الذي يمنح للولد المشروع الذي ادى ذلك العمل نفسه، فهو تماماً، كذلك الشاب الذي يبلغ عمره عشرين عاماً، والذي يعاني كثيراً و يعيش ازمة حادة، حين يترك معصية ما، فانه يستحق ثوابا اكثر من ذلك الشخص الذي لايعيش مثل هذه المعاناة النفسية في مواجهة تلك المعصية، فمن القواعد الاسلامية (افضل الاعمال احمزها).

٢— لماذا يمتلك ولد الزنا هذا الاستعداد للانحراف، مع ان الابوين هما اللذان قد ارتكبا المعصية، ولا تفاوت في النطفة بين الولد المشروع وغيره؟

الجواب: لاشك ان الابوين قد ارتكبا خطيئة كبيرة، لانحرافهم وتخلفهم، عن القوانين والنواميس الطبيعية للانجاب، ولكن لهذا التخلف آثاره السيئة، فهوكما لو القينا انفسنا من ارتفاع يبلغ عشرين متراً، فاننا سنصاب بكسور خطيرة، او بغيرها من الآثار، وذلك نتيجة ما اودعه الله تعالى في هذا الكون من القوانين الطبيعية، امثال القوة الجاذبة، وغيرها، فلو تخلفنا عن هذه القوانين الطبيعية، فسوف نلقى جزاء تخلفنا.

فهناك ، شروط تكوينية خاصة، للولادة الصحيحة المشروعة، والتخلف عنها يستوجب ان يكون الولد غيرطبيعي و غيرسوي، فهو كالفردالذي يرمي بنفسه من السطح بدلاً من ان يهبط بالسلم، فهو عمل غيرطبيعى، و له آثاره السيئة على ذلك الفرد.

وقد قرراللهُ تعالى، بان سلامة الطفل و طهارة نفسه، متوقفة على الولادة المشروعة، و من اب وام قدتم زواجهما بصورة مشروعة، والزواج المشروع حقيقة عامة، يؤمن بها كل دين، و لاتختص بالاسلام، فاذا كان لقاء الرجل، والمرأة بوساطة الزواج، فسوف تستقرالنطفة في الرحم بصورة مشروعة و طبيعية، و سوف تمرالمرأة بفترة الحمل بكل اطمئنان، خلية من الافكار الاثيمة، وملاحقة

الحكم الجزائي، وستضع في الوقت المعين لها، طفلاً، سليما، سويا، و اما اذا انعقدت النطفة بصورة غير مشروعة، لارتكاب الرجل والمرأة عملاً، ايثماً، غيرقانوني، فالمرأة ستشعر في قرارة نفسها، بانها قد ارتكبت عملاً غيرمشروع، وغيرقانوني، هذا المخالفة بنفسها، تخلق الاضطراب والقلق النفسي، نتيجة الافكار الاثيمة التي تخطر في ذهنها، والخشية من نظرات الناس وكلامهم، والخوف من الحكم الجزائي، وهذا الواقع التعيس الذي تعيشه هذه المرأة له آثاره السيئة، في جنينها، و بذلك يظهر الاستعداد للانحراف والخطيئة في ذلك الطفل، فمن الحقائق العلمية التي اعترف بها الجميع، ان النطفة لها قابلية مدهشة للتأثر بالافكار والحالات العاطفية والنفسية التي تعيشها الام، و كذلك تتاثر النطفة بحالات الاب والام النفسية في لحظة الاتصال الجنسي ايضا.(١)

فكيف يخرج الطفل للوجود سويا، سليماً، مع ان النطفة قد انعقدت بصورة غير مشروعة، وفي لحظات مليئة، بالاثم والتوتر، والقلق، وقدعاشت الام، تسعة اشهر، في حالة نفسية يرثى لها، خائفة، تشعر بالاثم، والعذاب، ان الزواج المشروع، تماماً، كاجازة السياقة، التي تمنح للسائق، حيث سيشعر بالاطمئنان، يملأعماقه،وهو يقود سيارته، واما اذا لم يمتلك مثل هذه الاجازة والوثيقة فانه سيشعر بالقلق، والخوف، والاضطراب، من مطاردة القانون، وهو يقود سيارته.

فكما ان الآثار الخطيرة،سوف تحدث في الولد، فيما لوالقاه الابوان من مكان مرتفع، لانهما قد عملا مايخالف القانون الطبيعي، وهكذا الامرهنا، حيث يتكون فيه الاستعداد للانحراف، ولكن— كمامر— لايعتبر هذا الاستعداد معصية لوحده، اذا لم يقترف المعصية.

٣— اذا كان المسؤول عن الاستعداد للانحراف، هماالابوان، وليس

---

(١)— للتوسع اكثر يراجع كتاب الطفل، للخطيب الكبير الشيخ محمد تقي فلسفي.

للولد اي تدخل في ذلك ، اذن لماذا منعهم الاسلام من المناصب المهمة كالمرجعية والقضاء؟.

الجواب:

ان الاسلام انما منعهم عن اشغال هذه المناصب من باب الاحتياط، وهو امر منطقي، وصحيح، فان المرجعية والقضاء. مماله علاقة بالمجتمع بصورة عامة، و باموال الجميع، واعراضهم و نفوسهم، و بالرأي العام، و مما ذكرناه سابقاً يبدولنا جليا، السرفي ذلك ، فليس من المعقول ان يعين الاسلام في هذه المناصب التي تتعلق باهم الامور المادية والمعنوية للمجتمع، هولاء الذين يمتلكون هذا الاستعداد الكبير للانحراف والمعصية فان ذلك يخالف المصالح الاجتماعية، بل انه قد منع من منحها لمن يفتقد العدالة والتقوىٰ، المشروطة في هذه المناصب، وحتىٰ لوكان الشخص قد ولد بصورة مشروعة، وكان كفوءاً من الناحية العلمية، ولكنه لم يكن عادلاً، فان الاسلام يشترط العدالة والمناعة الاخلاقية، بالاضافة للعلم، في كفاءة الفرد لهذه المناصب، لشدة احتياط الاسلام في هذا المجال، الذي يرتبط بالمصالح العامة للمجتمع، ومن هنا امر الامام (ع) في عهده لمالك الاشتر (ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك) اي القاضي.

فحرمان اولاد الزنا من هذه المناصب، لايعتبر تحقيراً لهم، بل لملاحظة اهمية المصالح الحياتيه للمجتمع.

ولابد من التأكيد على ملاحظة مهمة، و هي ان حرمانهم من هذه المناصب، حفظاً للمصالح العامة، يؤدي الى ان تكون حياتهم، اكثر مشقه، وصعوبة، في هذه الدنيا، ولكن هذا الحرمان، والنصب، سيجبره الجزاء والثواب الجزيل الذي ينتظرهم في الدنيا والآخرة، فما لولم ينحر فواعن الصراط المستقيم فليس هناك اضطهاد وظلم في حقهم مع هذا الجزاء الوافر لهم.

سؤال:

ان ناقص الخلقه، والمشوه، سيعيش محروماً مادياً و معنو ياً، فلماذا هذا الحرمان، مع عدم تقصيره في نشوء النقص والتشو يه؟.

الجواب:

لار يب ان نقص الخلقة ناشئ عن الاعمال الصادرة من الابو ين، والعوامل المادية لهذا النقص كثيرة، مذكورة بالتفصيل في الكتب الاسلامية، منها الادمان على شرب الخمر، و تناول الاغذية الفاسدة والمحرمة في الاسلام، والاتصال الجنسي في بعض الاوقات الخاصة، والتحدث ابان الاتصال الجنسي، وامور اخرى غيرها، كلها تؤدي الى حدوث النقص في الخلقة، والتشو يه، وقد اكتشف العلم تأثيرات بعضها، و بقيت الاخرى خفية، لم يصل العلم الحديث لسرها، ومدى تأثيرها في هذا المجال، وقداكتشف العلم حقائق مدهشة، اشارااليها الاسلام منذقرون طو يلة، فالاسلام يقول (من زوج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها)، وقد اكدالعلم الحديث هذه الحقيقة، منهم الكسيس كارل، يقول في هذاالمجال .(يجب ان يعلم كل واحدمنا، بان الزواج من عائلة مصابة بالجنون، او بضعف العقل، او الادمان على شرب الخمر، يعنى سحق النسل و تدميره)(١).

و يقول الدكتور جزائري عضوالجمعيه الفرنسية لعلم الاغذية (اذا كانت النطفة مسمومة، حين التوليد، فسيخرج الطفل ناقصاً او عليلاً و مر يضاً، وقد اجرى احد الاطباء الكبار في اور با عملية احصاء واسعة، للنطف التي انعقدت في اول السنة المسيحية فظهر ان ٨٠٪ من الاولاد المشوهين، وناقصي الخلقة، كانو نتيجة اليوم الاول للسنة المسيحية، وذلك لانهم

---

(١)– طر يق الحياة.

يقضون هذا اليوم الذي يعد عيداً كبيراً للمسيحيين، في الطرب والرقص، وغيرهما من الممارسات العابثة، وكثيراً مايفرطون في شرب الخمر وغيره، مما يؤدي الى اصابتهم بالامراض)[1] وقد نشرت بعض الصحف مقالاً بعنوان (الادمان على الكحول وتأثيره في النسل) ذكرت فيه مسائل حيه، وحقائق مهمة في هذا المجال، نعرض عن ذكرها لطولها(٢).

وهنا تبرز عدة اسئلة:

١ــ ان هذه الاعمال التي يقترفها الابوان هي السبب في ظهور النقص في اولادهم، فهل يعد الابوان مسئولين عن هذه الآثار السيئة التي حدثت في الاولاد، وهل يكونان مذنبين؟.

و في مقام الجواب نقول، بان الوالدين يعتبران مذنبين، ومسؤلين شرعاً في الاعمال المحرمة التي تؤدي الى ظهور التشويه في اولادهم، امثال شرب الخمر، وتناول الاغذية المحرمة، اي ان ادمان الاب او الام على الخمر، اذا استوجب ظهور الولدالمشوه، او كان التشويه، ونقص الخلقة ناشئاً من تناول الاغذية المحرمة اوالفاسدة، ففي مثل هذه الموارد، يكون الاب اوالام، مسؤلاً، و مذنباً، و يعذب يوم القيامة لاجل شربه الخمرة، اوتناول الاغذية الفاسدة اوالمحرمة .

واما الاعمال غير المحرمة، فلايعاقبون على ذلك ، ولكن لعدم مراعاتهم الشروط المقررة الطبيعية للولادة الصحيحة، مع ان الشريعة الاسلامية، قدبينتها، واكدت عليها، فسوف يعانون العذاب والاضطهاد في هذه الدنيا، و يتمثل هذا العذاب بوجود ولدمشوه، ناقص الخلقة، وهذا هوجزاؤ هم على

---

(١)ــ اعجاز الاغذية.

(٢)ــ صحيفة اطلاعات الايرانية، العدد ١٣٥٨٧.

عدم التزامهم بمقررات الشريعة الحقة، فمن الواضح ان الاسرة التي يعيش في اعضائها اخرس، او مشوه، او فرد تنقصه اليداوالرجل، اوغيرها من العاهات، سوف تعاني العذاب النفسي، بسبب ذلك ، وهذا لوحده، جزاء شديد، وجهه تعالى لهذين الوالدين اللذين انتجا مثل هذا الولد المشوه.

اذن فالوالدان اللذان، بعملهما، قد اوجدا هذا المشوه، سوف يكون جزاؤهما جزاءاً شديداً، بدون استثناء، والفرق، ان من يمارس الاعمال المحرمة، سوف يواجه العذاب الاخروي بالاضافة للعذاب الدنيوي، واما الذي لم يمارس الاعمال المحرمة، فسوف يعاني العذاب في هذه الدنيا.

٢— لماذا اصبح هولاء المشوهون محرومين، مع انهم لم يقترفواذنبا؟.

الجواب:

اذا كان المقصود من الحرمان هوالحرمان المعنوي، فليس الامر كذلك فان هولاء يتمكنون من ممارسة وظائفهم الدينية وان كانت ناقصة، الاانها تصح منهم وتقبل كما لو كانت تامة، وكماتقبل من الانسان السوي، بلافرق، فالاخرس الذي لايتمكن من قراءة الحمدوالسورة والاذكار الخاصة، تقبل صلاته كما لوكانت تامة.

واما اذا كان المقصود هوالحرمان المادي، فالاخرس، اوفاقد اليدين، اوالرجلين لايتمكن كالانسان السوي، ان ينجز بعض الاعمال. وان يتوصل لبعض المنافع الماديه في مختلف المجالات الفرديه اوالاجتماعيه، ولكن حرمانه لايذهب عبثاً، بل انه سيجبر من نواح اخرى فان هذا الفرد الناقص والمشوه حين يواجه الامه وحرمانه، بصبر وصمود، ولايرتكب معصية واثماً، ولاينحرف في عقيدته عن الصراط المستقيم، فانالله تعالى سوف يثيبه في الاخرة اكثر، لمشقته، ومعاناته الزائده، بل ربما يتحقق الجبران في هذه الدنيا، بصورة نجاحات ماديه، وتوفيقات غيرمتعارفه فى امثاله، وتقدم رفيع ربما لايصل اليه الفرد السوي .

ولكن يبرز سؤال: لماذا لم يجبر حرمانهم في هذه الدنيا، ولماذا يوجل احيانا ليوم القيامة؟

الجواب:

قلنا ربما يتحقق الجبران في هذه الدنيا، بل ربما يفوق تفوقهم ونجاجهم في هذه الدنيا نجاح الاسوياء، ممايؤدي الى ان يتحملواتشوهاتهم و حرمانهم بغير مشقة وعناء. هذا اولاً، و ثانياً: الجزاء الاخروي، الذي سيجبر حرمانهم في هذه الدنيا، بالاضافة الى ان العطاء في الآخرة افضل بكثير من الجزاء الدنيوي، اذا ان الثواب والجزاء الاخروي دائم خالد، واماجزاء الدنيا فهو موقت زائل، وهذا السؤال تثيره عادة، الشبهة الراسخة في اذهان البعض، بان جزاء الدنيا نقد، وجزاء الاخره دين، والنقد افضل من الدين، ولكن هذا لرأي غير صحيح، فان جزاء الاخره قطعي، و يقيني، و باق لايفنى

سؤال:

لماذا كان الانبياء كلهم من الشرق، ولم يبعث من الغرب نبي؟.

الجواب:

ان معلوماتنا التاريخية حول الانبياء قليلة، فربما كان هناك انبياء بعثوا في الغرب، ولكن لم نتعرف عليهم، فلايحق لنا الجزم بانه لم يبعث في الغرب نبي، ولكن نعترف، بان ماوصل الينا من الوثائق وا ـ التاريخية، يدل على ان الانبياء جميعهم قدبعثوا من الشرق.

ومع ذلك يمـكن الجواب على هذا التساؤل:

بما ان هدف الانبياء هودعوة الجميع للرسالة الالهيه، وانقاذهم من الشرك والكفر، والتقاليد الجاهلية، والاوهام الخرافية، وشتى انواع الموبقات والمعاصي، وبايجاز، فان هدفهم توفير السعادة المادية والمعنوية للبشرية عامه، فلابد ان يبعثوا في المنطقة التي يتحقق فيها هذا الهدف المقدس بصورة اسرع من غيرها، ولعله لهذا السبب، بعثوا في الشرق، لان الشرق، بالامس، كان مركز التمدن، ومهدالعلم، والثقافه، وقدانتقلت المدنية منه الى الشعوب والمناطق الأخرى، فكانت في الشرق، مدنيات مزدهرة امثال مدنية مصر، وبابل، و ايران وغيرها، بينما كان الغرب آنذاك يعيش في ظلام دامس، وفي وحشيه متأخرة، فان دول الغرب كلها (باستثناء اثينا، والاستثناء لايسلب من القاعده الكلية عمومها) كانت تقيم في حالة من التوحش والجهل يرثى لها، وقدعاشت هذه الحالة المتأخرة لمراحل زمينة طويلة، ولم تقتصر على فترة معينة، فالملاحظ ان (غاليلو) اتهم بالكفر والجنون، حين اعلن اراءه العلمية، وكذلك الامر مع غيره من العلماء والمفكرين، وذلك في القرن الخامس عشر، والسادس عشر، بل انهم واجهوا العلماء والمفكرين بالقتل، والسجن، والتشريد

والاحراق، عقوبة لارائهم العلمية، وقداعترف بهذه الحقيقة الكثير من مؤرخي الغرب، ومفكـــريهم ، امثال كوستاف لوبون و غيره، و يضيق المجال لو تعرضنا لارائهم حول هذا الموضوع.

اذن فالشرق كان اكثر استعداداً لتقبل النور والمعرفة، وشعوبه اكثر تقبلا للتعاليم الالهية السامية، وفي الوقت الذي كان فيه الشرق، يسير بخطوات واسعة على طريق التقدم والتكامل، كان الغرب غارقا في الظلام والوحشية، ولكن نتيجة للروابط والعلاقات التي توطدت بين الغرب والشرق، اخذ الغرب، يستيقظ، و ينفض عنه، التأخر والانحطاط، و يسير بالتدريج، في طريق التطور والتقدم والمدينة.

فلو كان الغرب هو مهبط الرسالات، لاحتاج الانبياء في اداء مهمتهم المقدسة الى مدة طويلة جداً، تفوق بكثيرالمدة التي يحتاج اليها الشرق في الوصول للاهداف الالهية.

و بما ان الامة المتأخرة عادة ماتقلد الامة المتمدنة، المثقفه، وتنظر اليها بعين الاحترام. وتقبل. بصورة سريعه افكارها واعتقاداتها، فان الامة المتقدمة والمتطورة في مختلف المجالات الحضارية، والفكرية، والعلمية، والاقتصادية و غيرها، بحيث تفوق بقية الشعوب في ذلك ،غالباً ماتكون لها القيادة والريادة لبقية الامم التي هي اكثر تأخراً منها، ولعله لهذا السبب، يمكن القول بان ايمان الشرق برسالة الانبياء، نتيجة تكامله الفكري، وتقدمه الثقافي الذي يجعله اكثر ادراكاً للقيم والتعاليم الالهية، هذ الايمان يؤدي الى ان يؤمن الغرب بهذه الرسالة بصورة سريعة، حين يرى الشرق المتطور قد آمن بها، واما لو بعث النبي، من البداية الى تلك الامة المتأخرة، فانه سيحتاج لفترة طويلة جداً، في نشر رسالته هناك ، لعدم ادراك الامة المتأخرة لماتحتويه الرسالة الالهية من المضامين والتعاليم الحية.

وهنا يبرزسؤال: اذن فكيف بعث النبي(ص) في الجزيرة العربية، بالرغم ما انها كانت متأخرة حضاريا؟.

الجواب:

كان الشرق آنذاك ، ينقسم، لقسمين، الاول كان متفوقاً في تمدنه وثقافته، الثاني كان متأخراً، ولكنه متأخر بمقارنته للقسم الاول، لابالنسبه للغرب الذي كان غارقاً في الوحشية والظلام، فان الجزيرة العربية كانت متفوقة بكثير على الغرب آنذاك ، و من هنا يتضح، انه كانت توجد استعدادات و مؤهلات عامة في الشرق كله، لتقبل المسائل الفكرية، والحقائق العلمية، والتعاليم الاصلاحية، وحتىٰ في الشعوب المتأخرة منه، وهذا مايفسرلنا، بان هذه الشعوب لم تكتف بالالتزام بالتعاليم الاسلامية، بل انها اتصفت بمميزات حضارية متفوقة، وحاولت نقل تلك المبادئ والتعاليم للغرب.

ولكن ممايؤسف له ان العلم، والتمدن. قد اصبحاالة بيدالقوىٰ المجرمة، الظالمة، لاستغلال الفئات، والشعوب الضعيفه،والمضطهدة من اجل الوصول لاطماعها الجهنمية، لذلك كانت الفئات، المظلومة، والشعوب المحرومة والمضطهدة، اكثر استعداداً لتقبل رسالة العدل، وحكومة المبدأ الذي يستجيب بصورة اسرع، وافضل، لاحتياجات فئات المجتمع جميعها، و يقتلع جذرالفساد والجور، والاضطهاد الاجتماعي، واما المناطق المتطوره، حضاريا، والتي تعتبر مراكزالعلم والمدينة،فانمسيرة الرسالة الالهية فيهابطيئه، وذلك لكثرة الايادي الجائرة، والقوى الاستعمارية المستثمرة، التي تستخدم العلم والمدنية آلة لتحقيق اهدافها الشيطانية، فان المستعمرين، والمستغلين، كزعماء مكة، الذين يرون، بان رسالة السماء، وحكومة الدين، سوف تضرب اطماعهم و منافعهم، وتحطم قوتهم المعتمدة على الظلم والجور، والاستغلال، لذلك يحاولون دائماً وضع الحواجز في مسير الرسالة المقدسة، وفي وجه رسل الله.

اجل ان المظلومين، والمحرومين، والمضطهدين، اكثر استعداداً من الظالمين، للاحساس بلذة العدل. والالتزام بالشريعة الالهية.

ولهذا السبب رأينا بان الانبياء قد بعثوا في الشرق، الذي كان اكثر استعداداً لتقبل الرسالة الالهية، ولكن الملاحظ انهم يبعثون في منطقه معذبة، مضطهدة، محرومة كالجزيرة العربية مثلاً، دون سائر المناطق.

Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

NYU - BOBST
31142 01727 3478
BP170 .H37 1982 Shubuhat wa-hulul